الخليفة العباسي المهدي

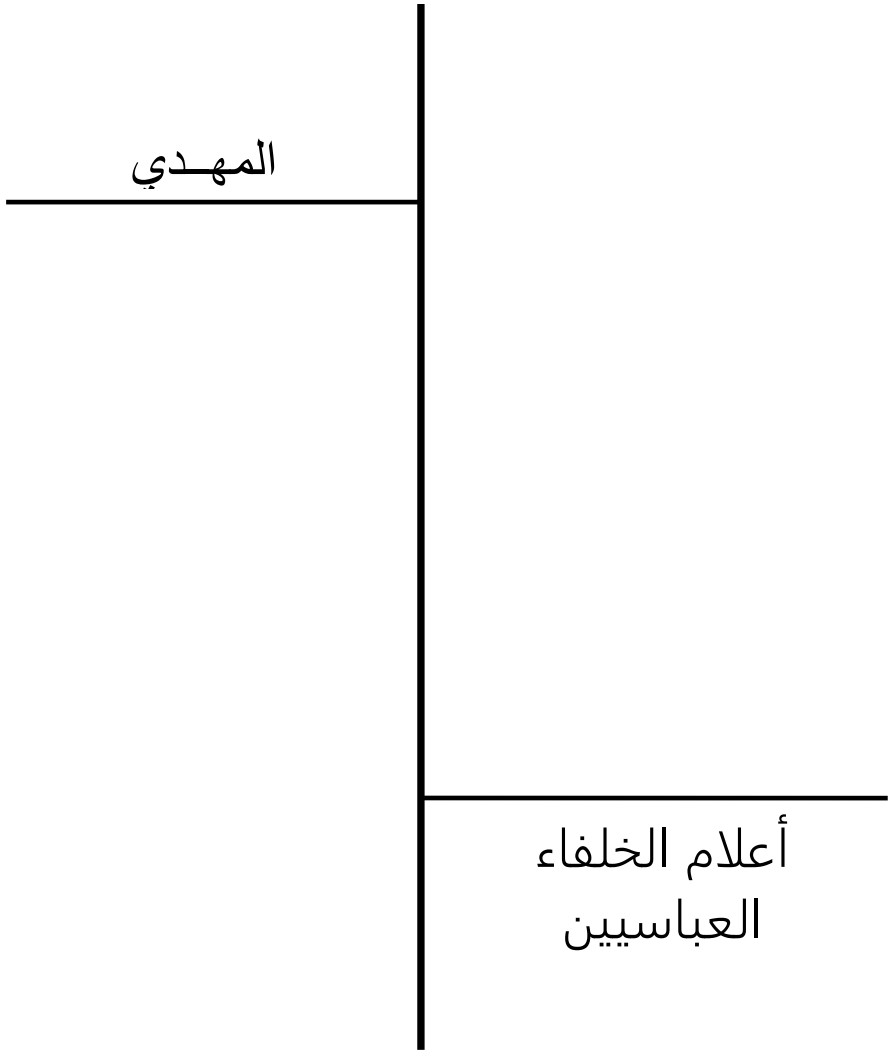

الخليفة العباسي المهدي

هو محمد المهدي بن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، وأمه هي أروى بنت منصور الحميرية، وكانت تكنى أم موسى، ولد سنة 126 هـ بالحميمة من أرض الشراة، وكان سنه حينما جاءت الخلافة إلى العباسيين ست سنوات، ولما استخلف أبوه كان سنه عشر سنوات، ولما اشتد، ولاه أبوه مملكة طبرستان، وقد قرأ العلم، وتأدب، وتميز.

وولي بعد وفاة أبيه وبعهد منه (سنة 158 هـ) بعد أن أنفق أبوه أموالا كثيرة حتى استنزل ولي العهد ابن أخيه عيسى بن موسى من العهد للمهدي، ولما مات المنصور، قام بأخذ البيعة للمهدي الربيع بن يونس الحاجب.

كان محمود العهد والسيرة، محباً إلى الرعية، حسن الخلق والخلق، جواداً، يقال: إنه أجاز شاعراً بخمسين ألف دينار؟ وكان يجلس للمظالم ويقول: أدخلوا علي القضاة فلو لم يكن ردي للمظالم إلا حياء منهم لكفى.وهو أول من مشي بين يديه بالسيوف المصلتة والقسي والنشاب والعمد، وأول من لعب بالصوالجة في الإسلام. ولكنه كان مستهتراً بمولاته الخيزران، وكان غارقاً كنحوه من الملوك في بحر اللذات، واللهو والصيد، ولكنه خائف من الله، معاد لأولي الضلالة، حنق عليهم.

حكم عشر سنين وشهراً ونصفاً، وعاش ثلاثاً وأربعين سنة، ومات بماسبذان، في المحرم، سنة تسع وستين ومائة، وبويع لابنه الهادي من بعده.

وهو الذي بنى جامع الرصافة، وتربته بها، وانمحى أثر الجامع والتربة بعد ذلك.

وقيل: إنه أثني عليه بالشجاعة، فقال: لم لا أكون شجاعاً؟ وما خفت أحداً إلا الله ـ تعالى [1].

(1) المعارف: 379 - 380، الطبري: 3 / 172، و6 / 183، 425، 7 / 509، 511، 524، 603، 8 / 7، 9، 25، 29، 37، 39، الوزراء والكتاب: 141 - 166، مروج الذهب: 2 / 246 - 255، تاريخ بغداد: 5 / 391 - 401، الكامل لابن الأثير: 6 / 32 -

مواقف من حياته:

الرؤيا الصالحة:

قال داود بن رشيد: قلت للهيثم بن علي: بأي شيء استحق سعيد بن عبد الرحمن أن ولاه المهدي القضاء وأنزله منه تلك المنزلة الرفيعة؟ فقال: إن خبره باتصاله بالمهدي ظريف، فإن أحببت شرحته لك. قلت: والله قد أحببت.

قال: اعلم أنه وافى الربيع الحاجب حين أفضت الخلافة إلى المهدي وقال له: استأذن لي على أمير المؤمنين، فقال له: من أنت وما حاجتك؟ قال: أنا رجل قد رأيت لأمير المؤمنين أعزه الله رؤيا صالحة، وقد أحببت أن تذكرني له، فقال الربيع: يا هذا، إن القوم لا يصدقون فيما يرونه لأنفسهم فكيف بما يراه لهم غيرهم، فاحتل بحيلة غير هذه، فقال: إن لم تخبره بمكاني سألت من يوصلني إليه وأخبره أنى سألتك الإذن لي عليه فلم تفعل؟ فدخل الربيع على المهدي، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنكم قد أطمعتم الناس في أنفسكم فقد احتالوا عليكم بكل ضرب.

فقال له المهدي: هكذا تصنع الملوك فماذا؟ قال: رجل بالباب يزعم أنه رأى لأمير المؤمنين أيده الله رؤيا حسنة، وقد أحب أن يقصها عليك.

فقال المهدي: يا ربيع، إني والله أرى الرؤيا لنفسي فلا تصح لي فكيف يمكن ادعاؤها ممن لعله قد افتعلها؟ قال: والله قلت له مثل هذا فلم يقبل.

قال: هات الرجل.

قال: فأدخل عليه سعيد وكان له رؤية وجمال ومروة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان طلق، فقال له: ما رأيت بارك الله فيك؟ قال: رأيت يا أمير المؤمنين آتياً أتاني في منامي فقال: أخبر أمير المؤمنين أنه يعيش ثلاثين سنة في الخلافة، وآية ذلك أنه يرى في ليلته الآتية في منامه كأنه يقلب يواقيت ثم يعدها فيجد ثلاثين ياقوتة كأنها قد وهبت له.

34، 81 - 87، عبر الذهبي: 1 / 230 - 231، 234، 240، 247، 254 - 255، الوافي بالوفيات: 3 / 300 - 302، البداية والنهاية: 10 / 129 - 131، تاريخ الخلفاء: 271 - 279، شذرات الذهب: 1 / 230، 245، 247، 248، 266 - 269.

فقال المهدي: ما أحسن ما رأيت، ونحن نمتحن رؤياك في ليلتنا المقبلة على ما أخبرتنا: فإن كان الأمر على ما ذكرت أعطيناك فوق ما تريد، وإن كان الأمر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلمنا أن الرؤيا الصالحة ربما صدقت وربما اختلفت.

قال: يا أمير المؤمنين، فما أصنع أنا الساعة إذا صرت إلى منزلي وعيالي وأخبرتهم أني كنت عند أمير المؤمنين أكرمه الله، ثم رجعت صفر اليد؟ فقال له المهدي: فكيف نعمل؟ فقال: يعجل لي أمير المؤمنين أعزه الله تعالى ما أحب وما أحلف له بالطلاق إني قد صدقت.

فأمر له بعِشرة آلاف درهم وأمر بأن يؤخذ له كفيل ليحضر من غد ذلك اليوم فقبض المال وقال له: من يكفلك؟ فمد عينه إلى خادم حسن الوجه والزي وقال: هذا يكفلني.

فقال له المهدي: اكفله يا غلام؟

فاحمر وخجل، وقال: نعم يا أمير المؤمنين، فكفله وانصرف سعيد بن عبد الرحمن بالعشرة آلاف درهم. فلما كانت تلك الليلة رأى المهدي ما ذكره له سعيد حرفاً بحرف وأصبح سعيد فوافى الباب واستأذن، فأذن له. فلما وقعت عين المهدي عليه قال له: أين مصداق ما قلت لنا عليه؟ فقلت له: وما رأى أمير المؤمنين. فضحك في جوابه، فقال له: امرأتي طالق إن لم تكن رأيت شيئاً؟ فقال: لأني أحلف على صدق.

قال له المهدي: فقد والله رأيت ذلك مبيناً.

فقال سعيد: الله أبر، فأنجز لي يا أمير المؤمنين ما وعدتني.

قال: حبًّا وكرامة.

ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار وعشر تخوت ثياب من كل صنف وثلاثة مراكب من أنفس دوابه محلاةً، فأخذ ذلك وانصرف فلحق به الخادم الذي كان كفله. وقال: سألتك بالله هل لهذه الرؤيا من أصل؟ فقال سعيد: لا والله.

فقال الخادم: كيف وقد رأى أمير المؤمنين ما ذكرته؟ قال: هذا من المخاريق التي لا أب لها، وذلك أني لما ألقيت هذا الكلام خطر ببالـه وحدث به نفسه وأسرى به قلبه واشتغل به فكره ففي ساعة نام خيل له ما

حل في قلبه واشتغل به فكره فنام فرآه.

فقال له الخادم: قد حلفت بالطلاق.

قال: طلقة واحدة وبقيت معي على اثنتين وأزيد مهرها عشرة دراهم. وأتحصل على عشرة آلاف درهم وثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت من أصناف الثياب، وثلاثة مراكب فارهة.

فبهت الخادم وتعجب من ذلك. فقال له سعيد: قد صدقتك وجعلت ذلك مكافأتك على كفالتك فاستر علي.

ثم طلبه المهدي لمنادمته فنادمه وحظي عنده وقلده القضاء على العسكر. فلم يزل كذلك حتى مات.

لو شربت الرابع لادعيت أنك رسول الله:

يحكى أن المهدي خرج يتصيد، فسار به فرسه حتى دخل إلى خباء أعرابي، فقال: يا أعرابي. هل من قرى؟ قال: نعم، فأخرج له قرض شعير فأكله، ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه، ثم أتاه بنبيذ في ركوة فسقاه قعباً. فلما شرب قال: يا أخا العرب أتدري من أنا؟ قال: لا والله.

قال: أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة.

قال: بارك الله في موضعك.

ثم سقاه قعباً آخر فشربه فقال: يا أعرابي، أتدري من أنا؟ قال: زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة.

قال: لا، بل أنا من قواد أمير المؤمنين.

قال: رحبت بلادك وطاب مرادك.

ثم سقاه ثالثاً فلما فرغ منه قال: يا أعرابي، أتدري من أنا؟ قال: زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين.

قال: لا، ولكني أمير المؤمنين.

فأخذ الأعرابي الركوة وأوكأها وقال: والله لو شربت الرابع لادعيت أنك رسول الله.

فضحك المهدي حتى غشي عليه وأحاطت به الخيل ونزلت إليه الملوك والأشراف فطار قلب الأعرابي فقال له: لا بأس عليك ولا خوف ثم أمر له بكسوة ومال[1].

لم يخف علي مخاطبة الحائك والكاتب:

قال أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد: بلغنى أن المهدي لما فرغ من عيساباذ ركب فى جماعة يسيرة لينظر فدخل مفاجأة فأخرج كل من كان هناك من الناس، وبقى رجلان خفيا عن أبصار الأعوان فرأى المهدي أحدهما وهو دهش لا يعقل فقال: من أنت؟ قال: أنا أنا أنا قال: ويلك من أنت قال: لا أدرى قال: ألك حاجة؟ قال: لا لا قال: أخرجوه أخرج الله نفسه فدفع في قفاه فلما خرج، قال لغلامه اتبعه من حيث لا يعلم، فسل عن أمره ومهنته فإني أخاله حائكا، فخرج الغلام يقفوه، ثم رأى الآخر فاستنطقه فأجابه بقلب قوي ولسان جرىء، فقال: من أنت؟ فقال: رجل من أبناء رجال دعوتك قال: فما جاء بك إلى هنا قال: جئت لأنظر هذا البناء الحسن، وأتمتع بالنظر وأكثر من الدعاء لأمير المؤمنين بطول المدة وتمام النعمة، ونماء العز والسلامة قال: ألك حاجة؟ قال: نعم ،خطبت ابنة عم لي فردني أبوها وقال: لا مال لك، والناس يرغبون فى المال، وأنا بها مشغوف. قال: قد أمرت لك بخمسين ألف درهم قال: جعلنى الله فداك يا أمير المؤمنين قد وصلت فأجزلت الصلة، ومننت فأعظمت المنة، فجعل الله باقي عمرك أكثر من ماضيه، وآخر أيامك خيراً من أولها ومتعك بما أنعم به، وأمتع رعيتك بك، فأمر أن يعجل صلته ووجه بعض خاصته معه وقال: سل عن مهنته فإني أخاله كاتباً فجاء الرسول الأول فقال: وجدته حائكاً وأخبر الآخر قال: وجدته كاتباً فقال المهدى: لم يخف علي مخاطبة الحائك والكاتب[2].

(1) إعلام الناس بما وقع للبرامكة، ص 39.
(2) أخبار الحمقى والمغفلين، ص 31.

كيف تأمر من السواك؟

وعن سلمة قال: كان عند المهدي مؤدب يؤدب الرشيد فدعاه يوما المهدي وهو يستاك فقال: كيف تأمر من السواك؟ قال: استك يا أمير المؤمنين فقال المهدي: إنا لله ثم قال: التمسوا من هو أفهم من هذا قالوا: رجل يقال له علي بن حمزة الكسائي من أهل الكوفة قدم من البادية قريباً فلما قدم على الرشيد قال له: يا علي قال: لبيك يا أمير المؤمنين قال: كيف تأمر من السواك؟ قال: سك يا أمير المؤمنين قال: أحسنت وأصبت وأمر له بعشرة آلاف درهم[1].

وما تعرفها يا أمير المؤمنين؟!:

دخل رجل على المهدي فأنشده شعرًا فقال فيه: وجوار زفرات، فقال المهدي أي شيء زفرات قال: وما تعرفها يا أمير المؤمنين؟! قال: لا والله قال فأنت أمير المؤمنين وسيد المرسلين ما تعرفها أعرفها أنا كلا والله ذكر[2].

المهدي وحديث العشّاق:

وحكى الأصمعي قال: خرج المهديّ حاجًّاً، حتّى إذا كنّا ببعض الطّريق، إذا أعرابيٌّ يقول: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، أنا عاشقٌ - وكان المهدي يحبّ العشّاق وحديثهم - موكلٌ به بعض الغلمان. فلمّا نزل أمر بإحضاره، قال: أنت المنادي؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين. قال له: ما اسمك؟ قال: أبو ميّاس. قال أمير المؤمنين: من عشيقتك؟ قال له: ابنة عمّي، وقد أبى عليّ أبوها أن يزوّجنيها. قال: لعلّه أكثر منك مالاً؟ قال: أنا أكثر منه مالاً! قال له: فما قصّتك؟ قال له: أدن رأسك منّي. فجعل المهدي يضحك، وأصغى إليه برأسه. قال له: إنّي هجينٌ. قال له: ليس يضرّك ذلك أخو أمير المؤمنين وأكثر أولاده هجناء! ثمّ قال له: وأين عمّك؟ قال له: على ثلاثة أميالٍ.

(1) أخبار الحمقى والمغفلين، ص 121.
(2) أخبار الحمقى والمغفلين، ص 165.

قال: فأرسل أمير المؤمنين في طلبه فجيء به فقال له: ما لك لا تزوّج أبا ميّاس، فإنّي أرى عليه نعمةً؟ قال: متاع سوءٍ، وليس مثلي يزوّج مثله. قال: فإنّ الذي كرهت ليس ممّا يعاب به عندنا، وأنا معطٍ صداق ابنتك عشرة آلاف درهمٍ، ومعوّضك ممّا ذكرت عشرة آلاف درهمٍ! قال: فذلك لك! قال: فخرج أبو ميّاس وهو يقول:

واتّبعت ظبيةً بالغلاء وإنّما : يعطي الغلاء لمثلها أمثالي
وتركت أسواق القباح لأهلها :: إنّ القباح وإن رخصن غوالي[1]

إذا استغنيت عن شيءٍ فدعه:

وذكر أبو الفرج الأصبهاني قال: دخل أبو عبيد الله على المهدي، وكان قد وجد عليه في أمر بلغه عنه، وأبو العتاهية حاضر المجلس، فجعل المهدي يشتم أبا عبيد الله ويتغيظ عليه، ثم أمر به فجروا برجله وحبس، ثم أطرق المهدي طويلاً، فلما سكن أنشده أبو العتاهية:

أرى الدنيا لمن هي في يديه : عذاباً كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغرٍ :: وتكرم كلّ من هانت عليه
إذا استغنيت عن شيءٍ فدعه : وخذ ما أنت محتاجٌ إليه

فتبسم المهدي، وقال لأبي العتاهية: أحسنت! فقام أبو العتاهية ثم قال: والله يا أمير المؤمنين، ما رأيت أحداً أشد إكراماً للدنيا، ولا أصون لها، ولا أشح عليها، من هذا الذي جر برجله الساعة، ولقد دخلت على أمير المؤمنين، ودخل هو، وهو أعز الناس، فما برحت حتى رأيته أذل الناس، ولو رضي من الدنيا بما يكفيه، لاستوت أحواله، ولم تتفاوت! فتبسم المهدي ودعا بأبي عبيد الله فرضي عنه، فكان أبو عبيد الله يشكر ذلك لأبي العتاهية[2].

(1) ابن الجوزي، أخبار النساء، ص64.
(2) ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص7.

أضمن ما تلف بقضيته:

ومن المنقول عن المهدي عن القاسم بن محمد بن خلاد عن علي بن صالح قال: كنت عند المهدي ودخل عليه شريك بن عبد الله القاضي فأراد أن يبخره فقال الخادم بالعود الذي يلهى به فوضعه في حجر شريك فقال شريك: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا أخذه صاحب العسس البارحة فأحببت أن يكون كسره على يد القاضي فقال: جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين فكسره ثم أفاضوا في حديث حتى نسى الأمر ثم قال المهدي لشريك: ما تقول في رجل أمر وكيلاً له أن يأتي بشيء بعينه فأتى بغيره فتلف ذلك الشيء فقال: يضمن يا أمير المؤمنين فقال للخادم: أضمن ما تلف بقضيته.

نعلرسول الله صلى الله عليه وسلم :

ومن المنقول عن محمد بن الفضل قال: أخبرنا بعض أهل الأدب عن حسن الوصيف قال: قعد المهدي قعوداً عامًّا للناس فدخل رجل وفي يده نعل ملفوفة في منديل فقال: يا أمير المؤمنين هذه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهديتها لك فقال: هاتها فدفعها إليه فقبل باطنها ووضعها على عينيه وأمر للرجل بعشرة آلاف درهم فلما أخذها وانصرف قال لجلسائه: أترون أني لم أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرها فضلاً عن أن يكون لبسها ولو كذبناه قال للناس: أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها على وكان من يصدقه أكثر ممن يدفع خبره إذا كان من شأن العامة ميلها إلى أشكالها والنصرة للضعيف على القوى وإن كان ظالماً اشترينا لسانه وقبلنا هديته وصدقنا قوله ورأينا الذي فعلنا أنجح وأرجح[1].

(1) ابن الجوزي، الأذكياء، ص18.

منع الملوك أن يكون فيهم مثلك:

وقف المهدي على عجوز من العرب فقال لها: ممن أنت؟ فقالت: من طيء فقال: ما منع طياً أن يكون فيهم آخر مثل حاتم فقالت مسرعة: الذي منع الملوك أن يكون فيهم مثلك فعجب من سرعة جوابها وأمر لها بصلة[1].

سلني حاجتك:

وبلغنا عن أبي دلامة أنه دخل على المهدي فأنشده قصيدة فقال له: سلني حاجتك فقال: يا أمير المؤمنين تهب لي كلباً فغضب وقال: أقول لك سلني حاجتك فتقول: تهب لي كلباً فقال: يا أمير المؤمنين الحاجة لي أم لك قال: لا بل لك قال: فإني أسألك أن تهب لي كلب صيد فأمر له بكلب فقال: يا أمير المؤمنين هبني خرجت إلى الصيد أعدو على رجلي فأمر له بدابة فقال: يا أمير المؤمنين فمن يقوم عليها فأمر له بغلام فقال: يا أمير المؤمنين فهبني قصدت صيداً وأتيت به المنزل فمن يطبخه فأمر له بجارية فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء أين يبيتون فأمر لهم بدار فقال: يا أمير المؤمنين قد صيرت في عنقي كفًّا أي جمعاً من عيال فمن أين ما يتقوت به هؤلاء قال: فإن أمير المؤمنين قد أقطعك ألف جريب عامر وألف جريب غامراً قال: أما العامر فقد عرفته فما الغامر قال: الخراب الذي لا شيء فيه قال: من ألقي جريب واحداً عامراً قال: من أين؟ قال من بيت المال فقال المهدي: حولوا المال وأعطوه جريباً فقال: يا أمير المؤمنين إذا حولوا منه المال صار غامرًا فضحك منه وأرضاه[2].

فقلبها عليه:

قال الجاحظ: قال المهدي لشريك القاضي وعيسى بن موسى عنده: لو شهد عندك عيسى كنت تقبله؟ وأراد أن يضرب بينهما فقال شريك: من سألت عنه لا يسأل عن عيسى غير أمير المؤمنين فإن زكيته قبلته فقلبها

(1) ابن الجوزي، الأذكياء، ص43.
(2) ابن الجوزي، الأذكياء، ص49.

عليه[1].

أخاف أن يملني ويدعني فأموت:

وحكى أبو بكر الصولي أن المهدي اشترى جارية فاشتد شغفه بها وكانت به أشغف وكانت تتجافاه كثير فدس إليها من عرف ما في نفسها فقالت: أخاف أن يملني ويدعني فأموت فأنا أمنع نفسي بعض لذتها منه لأعيش فقال المهدي:

ظفرت بالقلب مني :: غادة مثل الهلال
كلما صح لها ود : ي جاءت باعتلال
لا تحب الهجر مني :: والتنائي عن وصالي
بل لمأمنها على : حبي لها خوف الملال [2]

ما اسمك؟

وسأل المهدي السيد الحميري: ما اسمك؟ فقال: أنت السيد يا أمير المؤمنين. وهذا من الأدب إذا كان اسم المسؤول من صفات السائل[3].

ليس هذا في الكتاب:

قال أبو الحسن: قال ابن جابان: قال المهدي: كان شبيب بن شيبة يسايرني في طريق خراسان فيتقدمني بصدر دابته فقال لي يومًا ينبغي لمن ساير خليفة أن يكون بالموضع الذي إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شيء لا يلتفت إليه ويكون من ناحية إن التفت لم تستقبله الشمس قال: فبينما نحن كذلك إذ انتهينا إلى مخاضة فأقحمت دابتي ولم يقف واتبعني فملأ ثيابي ماء وطينًا فقلت: يا أبا معمر ليس هذا في الكتاب[4].

(1) ابن الجوزي، الأذكياء، ص64.
(2) ابن الجوزي، الأذكياء، ص103.
(3) أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر، ص67.
(4) أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، 381/1.

واعظ بين يدي المهدي:

قال ودخل على المهدي صالح بن عبد الجليل فسأله أن يأذن له في الكلام فقال: تكلم. فقال: أنا لما سهل علينا ما توعر على غيرنا من الوصول إليك قمنا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله بإظهار ما في أعناقنا فريضة الأمر والنهي عند انقطاع عذر الكتمان في التقية ولا سيما حين اتسمت بميسم التواضع، ووعدت الله وحملة كتابه إيثار الحق على ما سواه فجمعنا وإياك مشهد من مشاهد التمحيص لينم مؤدبنا على موعود الأداء عنهم وقابلنا على موعد القبول أو يردنا تمحيص الله إيانا في اختلاف السر والعلانية ويحلينا بحلية الكاذبين، فقد كان أصحاب رسول الله يقولون: من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل وأشد منه عذابًا من أقبل إليه العلم وأدبر عنه ومن أهدى الله إليه علمًا فلم يعمل به فقد رغب عن هدية الله وقصر بها فاقبل ما أهدى الله إليك من ألسنتنا قبول تحقيق وعمل لا قبولا فيه سمعة ورياء فإنه لا يخلفك منا إعلام لما تجهل أو مواطأة على ما تعلم أو تذكير لك من غفلة فقد وطن الله تبارك وتعالى نبيه على نزولها تعزية عما فات وتحصينا من التمادي ودلالة على المخرج فقال:{ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ} [فصلت: ٣٦]، فاطلع الله على قلبك بما ينور الله به القلوب من إيثار الحق ومنابذة الأهواء فإنك إن لم تفعل ذلك يرى أثرك وأثر الله عليك فيه ولا حول ولا قوة إلا بالله [1].

أنت يا جوهر عندي جوهره:

وكان المهدي يحب القيان وسماع الغناء وكان معجبًا بجارية يقال لها: جوهر وكان اشتراها من مروان الشامي فدخل عليه ذات يوم مروان الشامي وجوهر تغنيه فقال مروان:

أنت يا جوهر عندي جوهره : في بياض الدرة المشتهره
فإذا غنت فنار ضرمت :: قذفت في كل قلب شرره

(1) أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، 555/1 ، 556.

فاتهمه المهدي وأمر به فدع في عنقه إلى أن خرج ثم قال لجوهر: أطربيني، فأنشأت تقول:

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني ... وأشمت بي من كان فيك يلوم
وأبرزتني للناس ثم تركتني ... لهم غرضاً أرمى وأنت سليم
فلو أن قولا يكلم الجسم قد بدا ... بجسمي من قول الوشاة كلوم

فقال المهدي:

(ألا يا جوهر القلب ... لقد زدت على الجوهر...)
(وقد أكملك الله ... بحسن الدل والمنظر...)
(إذا ما صلت ما ... أحسن خلق الله بالمزهر...)
(وغنيت ففاح البيت ... من ريقك بالعنبر...)
(فلا والله ما المهدي ... أولى منك بالمنبر...)
(فإن شئت ففي كفك ... خلع ابن أبي جعفر...) [1]

إليك عني، يا جاهل!:

وكان المهدي في أول أمره يحتجب عن الندماء، متشبهاً بالمنصور نحواً من سنة، ثم ظهر لهم. فأشار عليه أبو عونٍ بأن يحتجب عنهم، فقال: إليك عني، يا جاهل! إنما اللذة في مشاهدة السرور وفي الدنو من سرني. فأما من وراء وراء، فما خيرها ولذتها؟ ولو لم يكن في الظهور للندماء والإخوان إلا أني أعطيهم من السرور بمشاهدتي مثل الذي يعطونني من فوائدهم، لجعلت لهم في ذلك حظًّا موفراً.

وكان كثير العطايا، وافرها، قل من حضره إلا أغناه. وكان لين العريكة، سهل الشريعة، لذيذ المنادمة، قصير المناومة، ما يمل نديماً ولا

(1) أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، 340/1.

يتركه إلا عن ضرورة، قطيع الخنا، صبوراً على الجلوس، ضاحك السن، قليل الأذى والبذاء[1].

من سخاء المهدي:

حدث عبد الملك بن عبد العزيز، عن أبيه، قال: سألني المهدي أمير المؤمنين، فقال: يا ماجشون! ما قلت حين فقدت أصحابك، يعني الفقهاء، قال: قلت:

يا من لباكٍ على أصحابه جزعا ... قد كنت أحذر ذا من قبل أن يقعا
إن الزمانَ رأى إلف السرور بنا ... فدب بالهجر فيما بيننا وسعى
فليصنع الدهر بي ما شاء مجتهداً ... فلا زيادة شيءٍ فوق ما صنعا

فقال: والله لأغنينك، فأجازه بعشرة آلاف دينار فقدم بها المدينة فأكلها في السخاء والكرم[2].

فكيف أخرج عنهم وهم أصلي في ديني؟

وكان شريكٌ قد دخل على المهدي، فقال له: ما ينبغي لك تقلد الحكم بين المسلمين، قال: ولم؟! قال: لخلافك على الجماعة، وقولك بالإمامة.

قال: أما قولك: لخلافك على الجماعة، فعن الجماعة أخذت ديني، فكيف أخرج عنهم وهم أصلي في ديني؟ وأما قولك: بالإمامة، فما أعرف إماماً إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأما قولك: مثلك لا ينبغي له الحكم بين المسليمن، فهذا شيءٌ أنتم فعلتموه فإن كان خطأً فاستغفروا الله منه، وإن كان صواباً فأمسكوا عليه.

قال: ما تقول في علي بن أبي طالب؟ قال: ما قال عنه جداك العباس وعبد الله قال: وما قالا عنه؟

قال: أما العباس فمات وعلي عنده أفضل الصحابة، وقد كان يرى كبراء المهاجرين يسألونه عما ينزل من النوازل، وما احتاج هو إلى أحدٍ

(1) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص6.
(2) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح،ص137.

حتى لحق بالله تعالى، وأما عبد الله فإنه كان يضرب بين يديه بسيفين، وكان في حروبه رأساً متبعاً وقائداً مطاعاً، فإن كانت إمامة علي جوراً لكان أول من يقعد عنها أبوك لعلمه بدين الله تعالى وفقهه في أحكام الله.

فسكت المهدي وأطرق، ولم يمض بعد هذا المجلس إلا قليلٌ حتى عزل شريك[1].

الخلفاء يغارون من أبيات جيدة قيلت في غيرهم:

حدثنا أحمد بن العباس العسكري، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن موسى بن حمزة، مولى بني هاشم، قال: حدثني أحمد بن موسى بن حمزة، قال: الفضل بن يزيغ، قال: رأيت مروان ابن أبي حفصة قد دخل على المهدي بعد موت معن بن زائدة في جماعةٍ من الشعراء وفيهم سلم الخاسر وغيره، فأنشده مديحاً، فقال: من؟ قال: شاعرك مروان بن أبي حفصة، فقال له المهدي: ألست القائل:

أقمنا باليمامة بعد معنٍ : مقاماً لا نريد به زيالا
وقلنا أين نرحل بعد معنٍ :: وقد ذهب النوال فلا نوالا

قد جئت تطلب نوالنا وقد ذهب النوال، لا شيء لك عندنا، جروا برجله. قال: فجروا برجله حتى أخرج، فلما كان في العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء - وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في ذلك الحين في كل عام مرة - قال: فمثل بين يديه وأنشده قصيدته التي يقول فيها:

طرقتك زائرةٌ فحي خيالها : بيضاء تخلط بالحياء دلالها
قادت فؤادك فاستقاد وقبلها :: قاد القلوب إلى الصبا فأمالها

قال: فأنصت لها حتى إذا بلغ إلى قوله:

هل تطمسون من السماء :: بأكفكم أو تسترون هلالها
نجومها : جبريل بلغها النبي فقالها

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص141 ، 142.

أو تدفعون مقالة عن ربكم :: بتراثهم فأردتم إبطالها
شهدت من الأنفال آخر آيةٍ :
::
:

يعني بني علي وبني العباس، قال: فرأيت المهدي وقد زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع، ثم قال له: فإنها لأول مائة ألف أعطيها شاعر في خلافة بني العباس.

قال: فلم تلبث الأيام أن أفضت الخلافة إلى هارون الرشيد، قال: فرأيت مروان بن أبي حفصة ماثلاً مع الشعراء، بين يدي الرشيد وقد أنشده شعراً، فقال له: من؟ قال: شاعرك مروان بن أبي حفصة، فقال له: ألست القائل البيتين اللذين له في معن اللذين أنشدهما المهدي: خذوا بيده فأخرجوه، فإنه لا شيء له عندنا، فأخرج.

فلما كان بعد ذلك بيومين تلطف حتى دخل عليه فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

::
لعمرك لا أنسى غداة المحصب : إشارة سلمى بالبنان المخضب
وقد صدر الحجاج إلا أقلهم :: مصادر شتى موكباً بعد موكب
:

قال: فأعجبته، قال له: كم قصيدتك بيتاً؟ قال له: ستون أو سبعون بيتاً، فأمر له بعدد أبياتها ألوفاً، فكان ذلك رسم مروان حتى مات[1].

كيف تولى أبو الأحوص ولاية مصر:

عن الهيثم بن عدي، قال: وجه المهدي أمير المؤمنين إلى أبي الأحوص فأقدم عليه ليوليه مصر وأعمالها، قال: فلما حضر عرض عليه ذلك فامتنع منه امتناعاً شديداً، فاغتاظ من ذلك المهدي فهم بضرب عنقه، وكان بحضرة المهدي محمد بن داود جليس خير، فقال له: يا أمير المؤمنين! تمهل عليه ثلاثة أيام، ففعل وأمره بالانصراف، فلما خرج من عنده اشتد غيظه وقال: أما ترى إلى هذا الشيخ، قد لبس خفًّا أحمر وخفًّا أسود ليوهم أنه مضطرب العقل! فقال له محمد بن داود الجليس الصالح:

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص201.

لا تقل ذلك، لعل الشيخ أخرج إليه ما يلبسه في الظلمة فلم يعلم، فسكن.

ومضى محمد بن داود إلى الشيخ أبي الأحوص فألفاه متشكياً يبكي، فقال له: ما شأنك؟ فقال: إنه خرج لي من الظلمة خف أحمر وخف أسود، فلبستها ولم أعلم، فلما خرجت من عند أمير أمير المؤمنين جعل الصبيان يصيحون ويضحكون، فلما تبينت ذلك نزعت الخفين ومشيت حافياً فلحقني وجعٌ عظيم في رجلي، فقال له محمد بن داود: إن أمير المؤمنين وقع له غير هذا فثنيته عما كان وقع له، فإذا حضرت عنده فإياك أن تأبى أو تمتنع، فمضى إلى المهدي فعرفه ذلك فسكن غضبه، واشتد حرصه على تقليد أبي الأحوص.

فلما حضر بين يديه في اليوم الرابع دعا بسفطٍ فأخرج منه كتاباً فيه عهده على مصر وأعمالها، ثم دفع إليه كتاباً ثانياً إلى صاحب الشرطة يأمره بحضور مجلسه وألا يخليه، ثم دفع إليه كتاباً ثالثاً، فقال: هذا تبيين برزقك على العامل، وهو ألف دينار في كل شهر، ومائتا دينار للمائدة، ثم دعا بسفطٍ آخر فأخرج منه ثياباً وطيباً فدفعه إليه، وأمر له بثلاثمائة دينار للنفقة، ثم قال له: الرزق تأخذه معجلاً هنياً تستعين به، وللمائدة مائتا دينار وكل الطيب لتقوي به نفسك، ولا تمل إلى شيءٍ بتة، لأن نفسك غنية بالرزق، وهذه الثلاثمائة دينار تستعين بها على نفقة الطريق، فلا تعترضن من أحد شيئاً فتستحش منه، وهذه الثياب والطيب تكون معك، فإن - وعائذ بالله تعالى - حدث حادث عليك كان هذا معدًّا، فانظر لنفسك وأعزها فقد أعززناك وأمددناك، وفقك الله تعالى للصواب.

فخرج أبو الأحوص إلى مصر فحكم بها سنين كثيرة فحسن أثره وحمد أمره[1].

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح،ص 212.

لا آمن أن يكون معه حديدة:

قال محمد بن القاسم: دخل الربيع على المهدي وأبو عبيد الله جالس يعرض كتباً، فقال له أبو عبيد الله: يا أمير المؤمنين يتنحى هذا، يعني الربيع، فقال له المهدي: تنح، قال: لا أفعل، قال: كأنك تراني بالعين الأولى، قال: بل أراك بالعين التي أنت بها، قال: فلم لا تتنحى إذ أمرتك؟ قال: لا آمن أن يكون معه حديدة ينالك بها وأنت سعرة المسلمين وقد قتلت ابنه، فقام المهدي مذعوراً وأمر بتفتيشه، فوجدوا بين جوربه وخفه سكيناً، فردت الأشياء إلى الربيع، فجعل كاتبه يعقوب بن داود مكانه، فقال فيه الشاعر:

أدخلتـــــه فعـــــلا عليـــــ : ك كـــذاك شـــؤم الناصـــية
يعقـــوب يحكـــم فـــي الأمـــو :: ر وأنـــت تنظـــر ناحيـــه [1]

منازعات اللغويين في مجلس المهدي:

وقد كانت تجري بين الكسائي واليزيدي منازغةٌ وهفوات، ومماراة وخصومات، عند الملاحاة في اللغة، والمجادلة في مقاييس النّحو وأبواب العربيّة، وما منهما إلاّ متقدم وعلمٌ مبرز في معرفته، ذو حظٍّ عظيم من علم القرآن وإعرابه، وجملة النّحو وأبوابه، رحمة الله علينا وعليهما وبركاته. فممَّا دار بينهما من الخصومة واللحاء، والمنازعة والمراء، ما حدّثنيه عبيد الله ابن أحمد الكاتب أحد إخواننا قال: حدثنا أبو عبد الله محمّد بن العباس اليزيدي قال، حدّثني عمّي عبيد الله بن محمد قال: أخبرني أبي محمّد بن أبي محمّد قال: أخبرني أبو محمد أبي قال: كنّا مع المهدّي ببلد في شهر رمضان قبل أن يستخلف بأربعة أشهر، وكان الكسائي معنا، فذكر المهدي العربيّة وعنده شيبة بن الوليد العبسيّ عمُّ دفافة، فقال المهدي: يبعث إلى اليزيدي وإلى الكسائي، وأنا يومئذ مع يزيد بن منصور خال المهدي، والكسائي مع الحسن الحاجب، قال: فجاءنا الرسول فجئت، وإذا الكسائيُّ على الباب، فقال لي: يا أبا محمّد أعوذ بالله من شرّك، قال:

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح،ص 255.

فقلت له: والله لا تؤتى من قبلي حتّى أوتى من قبلك، قال: فلمّا دخلنا عليه أقبل عليَّ فقال: كيف نسبوا إلى البحرين بحراني ونسبوا إلى الحصنين فقالوا: حصني ولم يقولوا حصناني كما قالوا بحراني؟ قال: قلت: أصلح الله الأمير، إنّهم لو نسبوا إلى البحرين فقالوا بحريّ لم يعرف إلى البحرين نسبوه أم إلى البحر، ولما جاءوا إلى الحصنين لم يكن موضع آخر يقال له الحصن ينسب إليه غير الحصنين فقالوا: حصني. قال أبو محمّد: فسمعت الكسائي يقول لعمر بن بزيع، وكان حاضراً: لو سألني الأمير لأخبرته بعلَّةٍ هي أحسن من هذه. قال أبو محمّد فقلت: أصلح الله الأمير إن هذا يزعم أنّك لو سألته لأجاب بأحسن ممّا أجبت به. قال: فقد سألته، فقال الكسائي: إنّهم لمّا نسبوا إلى الحصنين كانت فيه نونان، فقالوا حصنيّ فاجتزءوا بإحدى النونين عن الأخرى، ولم يكن في البحرين إلاّ نون واحدة فقيل بحراني، فقلت: أصلح الله الأمير كيف ينسب رجلاً من بني جنان؟ يلزمه أن يقول: جنّي لأن في جنّان نونين، فإن قال ذلك فقد سوَّى بينه وبين المنسوب إلى الجنّ. قال المهدي: فتناظرا في غير هذا قال: فتناظرنا في مسائل حفظ قولي وقوله فيها قال: إلى أن قلت: كيف تقول إن من خير القوم أو خيرهم بتة فقلت: أعزّ الله الأمير لأن يجيب فيخطئ فيتعلّم أحسن من هذه الإطالة، قال فقال: إن من خير القوم أو خيرهم نية زيداً، قال: فقلت: أصلح الله الأمير ما رضي أن يلحن حتّى لحن وأحال قال: كيف؟ قال قلت: لرفعه قبل أن يأتي بالاسم ونصبه بعد رفعه، قال: فقال شيبة بن الوليد: أراد بأو بل، قال: فقلت: هذا تعني، فقال الكسائي: ما أردت غير ذلك، قال فقلت: قد أخطأ جميعاً أيّها الأمير، لو أراد بأو بل لرفع زيداً لأنّه لا يكون بل خيرهم زيداً. قال: فقال له المهديّ: يا كسائي لقد دخلت إليَّ مع سلمة النحوي وغيره فما رأيت كما أصابك اليوم. ثمّ قال المهدي: هذان عالمان ولا يقضي بينهما إلاّ أعرابيٌّ فصيح تلقى عليه المسائل التي اختلفا فيها فيجيب.

قال: فبعث إلى فصيح من فصحاء الأعراب. قال أبو محمّد: فإلى أن يأتي الأعرابي أطرقت، وكان المهديّ محبّاً لأخواله، ومنصور بن يزيد بن منصور خاله حاضراً. قال فقلت: أصلح الله الأمير كيف ينشد هذا البيت من هذه القصيدة:

يـــا أيّهـــا الســـائلي لأخبـــر ::: عمن بصنعاء من ذوي الحسب
حميـــر ســـادتها تقـــرُّ لهـــا ::: بالفضـل طـرًّا جحاجح العـرب
وإنّ مـــن خيـــرهم وأكـــرمهم ::: أو خيـــرهم بتـــةَ أبـــو كـــرب

فقال المهدي: كيف تنشد أنت؟ قال: فقلت: أو خيرهم بتةً أبو كرب على معنى إعادة " إنَّ ". قال فقال الكسائي: هو قالها السّاعة أصلح الله الأمير.

قال: فتبسَّم المهدي، وقال: إنّك لتجيد له وما تدري. قال: ثم طلع الأعرابي الّذي بعث إليه فألقيت المسائل عليه، وكانت ستَّ مسائل، فأجاب عنها كلّها بقولي. قال: فاستفزّني السّرور حتّى ضربت بقلنسوتي الأرض وقلت: أنا أبو محمّد. قال: فقال شيبة بن الوليد: تكنّى باسمك أيّها الأمير!! فقال المهدي: والله ما أراد مكروهاً ولكنه فعل ما فعل للظفر، ولعمري لقد ظفر. قال: فقلت: إن الله عز وجل أنطقك أيها الأمير بما أنت أهله، وأنطق غيرك بما هو أهله.

قال: فلمّا خرجنا قال لي شيبة: تخطِّئني بين يدي الأمير؟! أما لتعلمنّ. قال: فقلت: قد سمعت ما قلت وأرجو أن تجد غبّها. قال: ثم لم أصبح حتّى كتبت رقاعاً عدّة، فلم أدع ديواناً حتّى دسست إليه رقعةً فيها أبيات قلتها، فأصبح النّاس ينشدونها وهي:

عـش بجـدٍّ ولا يضـرّك نـوكَ ::: إنمـــا مـــن تـــرى بالجـــدود
عش بجدّ وكن هبنّقة القيسيَّ ::: نوكـــاً أو شـــيبة بـــن الوليـــد
شـيب يـا شـيب يـا جـديَّ بنـي ::: القعقاع ما أنت بالحليم الرشيد:
لا ولا فيـك خلـة مـن خـلال الـ ::: خيـــر أحرزتهـــا بحـــزمٍ وجـــود
غيـر مـا أنّـك المجيـد لتقطيـع ::: غنـــاءٍ أو ضـــرب دفٍّ وعـــود
فعلـــى ذا وذاك يحتمـــل الـــد ::: هـــر مجيـــداً لـــه وغيـــر مجيـــد

قال أبو عبد الله، وحدّثني عمّي عبيد الله قال، حدّثني أبو جعفر أخي قال، حدّثني أبو محمّد قال: كانت تحتبس أرزاق الكسائي فيصير إليّ فيقول لي: اكتب لي رقعةً إلى جعفر بن يحيى فأكتب له.

قال القاضي: وقد أحسن اليزيدي فيما أجاب به، وألطف في نظره وقياسه، وأتى فيما بينه وبين الكسائي من الجفاء بما كان الأولى به خلافه، وما كان عليه لو حابى الكسائيَّ وأغضى له، فقد كان يعرف فضله وتمكُّنه من العلم ونبله. والمسألة التي سأله عنها بحضرة المهدي لطيفةٌ، وتعرض كثيراً في أمثالها الشبهة، وقد سأله عنها واستبطأه في جوابها وأنَّبه على تأخيره الجواب عنها، وما أرى الزيدي حصَّل جوابها عند ابتداء وقوعها إليه على البدار والبديهة حتّى أنعم فيها نظره وأعمل فيها فكره. وقد كنت أمللت في هذه المسألة كلاماً، وشرحت ما استدلَّ به اليزيدي فيها والوجه الّذي تعلّق به الكسائي في إجابته عنها، كرهت إعادته والإطالة هاهنا بذكره[1].

فم الحوت وعلي بن يقطين:

قال العتبي: قدم فم الحوت من المدينة بغداد فنزل على علي بن يقطين، وكان لاعباً بالشطرنج، فقال له علي: لاعبني، قال: إنّ عليَّ يميناً ألا ألعب أبداً إلاّ في إمرة مطاعةٍ، قال: فها هنالك، فلاعبه فقمره فم الحوت، وكان مشوَّه الوجه أهدل الشفة السفلى مقلَّص العليا مائل الشدق قبيح الأسنان، فقال له: احتكم، قال: تقبّلني قبلة، قال: أو الفدية قال: ذاك لك قال: ألف درهم قال: لا والله قال: ألفين قال: لا والله، قال: ثلاثة آلاف، قال: لا والله، قال: أربعة آلاف، قال: هاتها. فدفعها إليه وركب عليُّ بن يقطين إلى المهدي فأخبره فاستضحك وقال: ويحك أرنيه من حيث لا يراني، فأدخلته عليه من موضع يراه المهدي: وهو لا يراه فلما نظر إليه وإلى تشويه خلقه وقبح فمه قال له المهدي: ويحك يا علي قد والله ربحت ستة وثلاثين ألفاً. قال: وكيف؟ قال: من لا يفتدي قبلة من هذا بأربعين ألفاً؟! قد ربحت ستة

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح،ص 447.

وثلاثين ألفاً [1].

المهدي يستدعي مولى فائد ليغنيه صوتاً معيناً:

قال الربيع بن الفضل: أمرني أمير المؤمنين المهديُّ بالتقدُّم إلى خليفة العامل على الباب أن يكتب إلى صاحبه كتاباً عن نفسه في إشخاص أبي سعيد مولى فائد، فلم يكتب شيئاً حتّى وافى أبو سعيد فأدخله خليفة العامل عليَّ. فتوهّمت عند نظري إليه أنّه قاضي الحرمين، فدخلت من ساعتي إلى أمير المؤمنين وأعلمته، فأمرني بصرف الناس وإدخاله. قال: فقرّب أمير المؤمنين مجلسه وأحفى سؤاله ثم قال له: غنني أبا سعيد:

لقد طفت سبعاً قلت لما قضيتها : ألا ليت سعيي لا عليَّ ولا ليا
وإنّ الّذي يبغي رضاي بذكرها :: لأكرم من أهلي عليَّ وماليا

فقال: وأغنّيك أحسن منه يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك. قال: أنت وذاك، فغنّاه:

قدم الطويل فأشرقت واستبشرت : أرض الحجاز وبان في الأسحار
غيث الحيا وضياء كلِّ ملمّة :: سهل القياد ومألف الزوّار

قال القاضي: فأجاده وأحسنه، غير أن المهدي قال: هذا حسن ولكن غنني **لقد طفت سبعاً** - قال له: وأحسن منه، جعلني الله فداك. قال له: أنت وذاك، فغناه:

إن هذا الطويل من آل حفصٍ : نشر الجود بعدما كان ماتا
وبنى المجد مشبهاً لأبيه :: مثل ما يشبه النبات النباتا

قال القاضي: هكذا رواه، وأنشر أفصح. فأحسنه وأجاده، فقال المهدي: ويحك يا أبا سعيد، ما تركت في إحسانٍ مزيداً ولكن غنّني: " لقد طفت سبعاً " فغنّاه:

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح،ص 451.

إنَ الطويـــل مـــن آل حفـــص :: ساد الحضور وساد في الأسفار
فـــــــــــــــــــــاعملوا :

قال، فقال له المهدي: أنت تحسن يا أبا سعيد، ولكن ليس تغنيني الّذي أشتهي. فقال له الفضل منتهراً، غنِّ أمير المؤمنين ما يأمرك به. فقال أبوسعيد: يا أمير المؤمنين لا والذي أكرمك بخلافته ما لي إلى ذلك سبيل. قال: وكيف؟ قال: لأني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، وكان في يده شيء، فأهوى إليّ ليضربني به وهو يقول: لقد طفت سبعاً، ماذا صنعت يا بني؟ فقلت: اعف عنّي، فوباعثك بالحقِّ لا غنَّيت هذا الصوت أبداً. قال: فردَّه عني وقال: عفا الله عنك. فرأيت المهدي يبكي وتغلبه دموعه وهو يكفُّها، ثمّ وصله وصرفه[1] .

أحسنت!:

وقال عبد الله بن مالك الخزاعي: دخلت على أمير المؤمنين المهدي وعنده ابن دأب وهو ينشد قول الشماخ:

::
:
وأشعث قد قد السفار قميصه :: يجر شواء بالعصا غير منضج
دعوت إلى ما نابني فأجابني : كريم من الفتيان غير مزلج
فتى يملأ الشيزي ويروي سنانه :: ويضرب في رأس الكمي المدجج
فتى ليس بالراضي بأدنى معيشة : ولا في بيوت الحي بالمتولج
::
:

فرفع رأس إلي المهدي وقال: هذه صفتك أبا العباس فقلت: بك نلتها يا أمير المؤمنين. فضحك إلي وقال: هل تنشد من الشعر شيئاً؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فأنشدني. فأنشدته قول السموأل:

وإن هو لم يحمل على النفس :: فليس إلى حسن الثناء سبيل
ضيمها : فمطلبها كهلاً عليه ثقيل
إذا المرء أعيته المروءة يافعاً :: فقلت لها إن الكرام قليل
تعيرنا أنا قليل عديدنا : عزيز وجار الأكثرين ذليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا :: إذا ما رأته عامر وسلول
ونحن أناس لا نرى القتل سبة : وتكرهه آجالهم فتطول

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح،ص 480 ، 481.

يقرب حب الموت آجالنا لنا :: ولا طل منا حيث كان قتيل
وما مات منا سيد حتف أنفه : وليست على غير السيوف تسيل
تسيل على حد السيوف نفوسنا :: ولا ينكرون القول حين نقول
وننكر إن شئنا على الناس : كهام ولا فينا يعد بخيل
قولهم :: بها من قراع الدارعين فلول
فنحن كماء المزن ما في نصابنا :
وأسيافنا في كل شرق ومغرب

فقال: أحسنت! اجلس، بهذا بلغتم، سل حاجتك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، تكتب لي في العطاء ثلاثين رجلاً من أهلي؟ قال: نعم، فرض علي إذا وعدت. فقلت يا أمير المؤمنين، إنك متمكن من القدرة وليس دونك حاجز عن الفعل، فما معنى العدة؟ فنظر إلى بن دأب كأنه يريد منه كلاماً في فضل الموعد. فقال ابن دأب:

حلاوة الفعل بوعد ينجز :: لا خير في العرف كنهب ينهز

فضحك المهدي وقال:

الفعل أحسن ما يكو :: ن إذا تقدمه ضمان[1]

تملأ هذه يا أمير المؤمنين:

إبراهيم الشيباني قال: ولدت لأبي دلامة ابنة ليلاً، فأوقد السراج وجعل يخيط خريطة من شقق. فلما أصبح طواها بين أصابعه وغدا بها إلى المهدي فاستأذن عليه، وكان لا يحجب عنه. فأنشده:

لو كان يقعد فوق الشمس من :: كرم : قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا من شعاع الشمس في :: إلى السماء فأنتم أكرم الناس درج :

قال له المهدي: أحسنت والله أبا دلامة! فما الذي غدا بك إلينا؟ قال: ولدت لي جارية يا أمير المؤمنين. قال: فهل قلت فيها شعراً؟ قال: نعم، قلت:

فما ولدتك مريم أم عيسى :: ولم يكفلك لقمان الحكيم
ولكن قد تضمك أم سوء : إلى لباتها وأب لئيم

(1) العقد الفريد،69/1 ، 70.

قال: فضحك المهدي. وقال: فما تريد أن أعينك به في تربيتها أبا دلامة؟ قال: تملأ هذه يا أمير المؤمنين، وأشار إليه بالخريطة بين إصبعيه. فقال المهدي: وما عسى أن تحمل هذه؟ قال: من لم يقنع بالقليل لم يقنع بالكثير. فأمر أن تملأ مالاً. فلما نشرت أخذت عليهم صحن الدار، فدخل فيها أربعة آلاف درهم.

من أدخلني مع الدجاج؟

وكان المهدي قد كسا أبا دلامة ساجاً. فأخذ به وهو سكران، فأتي به إلى المهدي. فأمر بتمزيق الساج عليه، وأن يحبس في بيت الدجاج، فلما كان في بعض الليل وصحا أبو دلامة من سكره ورأى نفسه بين الدجاج، صاح: يا صاحب البيت.

فاستجاب له السجان؛ فقال: ما لك يا عدو الله؟ قال له: ويلك! من أدخلني مع الدجاج؟ قال: أعمالك الخبيثة، أتى بك أمير المؤمنين وأنت سكران فأمر بتمزيق ساجك وحبسك مع الدجاج. قال له: ويلك! أو تقدر على أن توقد سراجاً، وتجيئني بدواة وورق ولك سلبي هذا. فأتاه بدواة وورق: فكتب أبو دلامة إلى المهدي:

أمن صهباء صافية المزاج ... كأن شعاعها لهب السراج
تهش لها النفوس وتشتهيها ... إذا برزت ترقرق في الزجاج
وقد طبخت بنار الله حتى ... لقد صارت من النطف النضاج
أمير المؤمنين فدتك نفسي ... علام حبستني وخرقت ساجي
أقاد إلى السجون بغير ذنب ... كأتي بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لهان وجدي ... ولكني حبست مع الدجاج
دجاجات يطيف بهن ديك ... يناجي بالصياح إذا يناجي
وقد كانت تخبرني ذنوبي ... بأني من عذابك غير ناجي
على أني وإن لاقيت شراً ... لخيرك بعد ذاك الشر راجي

ثم قال: أوصلها إلى أمير المؤمنين. فأوصلها إليه السجان. فلما قرأها، أمر بإطلاقه وأدخله عليه، فقال: أين بت الليلة أبا دلامة؟ قال: مع الدجاج يا أمير المؤمنين. قال: فما كنت تصنع؟ قال: كنت أقاقي معهن حتى أصبحت. فضحك المهدي وأمر بصلة جزيلة، وخلع عليه كسوة شريفة.

الاستعطاف والاعتراف:

لما سخط المهدي على يعقوب بن داود، قال له: يا يعقوب؛ قال: لبيك يا أمير المؤمنين، تلبية مكروب لموجدتك؛ قال: ألم أرفع من قدرك إذ كنت وضيعاً، وأبعد من ذكرك إذ كنت خاملاً، وألبسك من نعمتي ما لم أجد بها يدين من الشكر، فكيف رأيت الله أظهر عليك، ورد إليك مني؟ قال: إن كان ذلك بعلمك يا أمير المؤمنين فتصديق معترف منيب، وإن كان مما استخرجته دفائن الباغين فعائذ بفضلك؛ فقال: والله لولا الحنث في دمك بما تقدم لك، لألبستك منه قميصاً لا تشد عليه زرًّا، ثم أمر به إلى الحبس. فتولى وهو يقول: الوفاء يا أمير المؤمنين كرم، والمودة رحم، وأنت بها جدير.

أخذت الشعراء معنى قول المهدي: لألبستك منه قميصاً لا تشد عليه زرًّا، فقال معلي الطائي:

طوقته بالحسام طوق ردى ⁝ ما يستطيع عليه شد أزرار

وقال حبيب:

طوقته بالحسام طوق داهية ⁝ أغناه عن مس طوقه بيده[1]

خير لك من أن تطيعك طاعة خوف:

دخل ابن خريم على المهدي، وقد عتب على بعض أهل الشام، وأراد أن يغزيهم جيشاً، فقال: يا أمير المؤمنين، عليك بالعفو عن الذنب، والتجاوز عن المسيء، فلأن تطيعك العرب طاعة محبة، خير لك من أن تطيعك طاعة خوف.

(1) العقد الفريد،137/1.

لا يجب عليه ضرب العنق:

أمر المهدي بضرب عنق رجل، فقام إليه ابن السماك، فقال: إن هذا الرجل لا يجب عليه ضرب العنق؛ قال: فما يجب عليه؟ قال: تعفو عنه، فإن كان من أجر كان لك دوني، وإن كان وزر كان علي دونك. فخلى سبيله[1].

قوم معوزون:

خَرج المهديّ يَطُوف بعد هَدْأَة من اللّيل، فَسَمِع أعْرَابيّة من جانب المسجد، وهي تقول: قوم معوزون، نَبَت عنهم العُيُون، وفدَحَتْهم الدُّيون، وعَضَّتهم السِّنون، باد رجالُهم، وذهبت أموالهم، أبناء سَبيل، وأَنْضاء طريق، وصيّةَ الله ووصية رسوله، فَهل من أمر بخَيْر، كَلأه الله في سفره، وخَلفه في أهله. فأمر نُصَيراً الخادم فدفع إليها خَمْسمائة درهم[2].

وأنت خير من الذي حمَلني عليك:

كان شَرِيك القاضي يُشاحن الربيعَ صاحبَ شُرْطة المهديّ، فحمل الربيعُ المهديَّ عليه، فدَخل شريك يوماً على المهديّ، فقال له المهديّ: بَلَغني أنك وُلدت في قَوْصرة؛ فقال: وُلدتُ يا أميرَ المُؤمنين بخراسان والقَواصر هناك عَزيزة؛ قال: إني لأراك فاطميّا خَبيثا؛ قال: والله إني لأحبّ فاطمةَ وأبا فاطمة صلى الله عليه وسلم، قال: وأنا والله أحبهما، ولكني رأيتُك في مَنامي مَصروفا وَجهك عنّي، وما ذاك إلا لبُغضك لنا، وما أراني إلا قاتلك لأنك زِنْديق؟ قال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ الدَماء لا تُسفك بالأحلام، ليس رُؤياك رُؤيا يوسفَ النبيّ صلى الله عليه وسلم، وأما قوْلُك بأني زِنْديق، فإن للزنادِقة علامةً وليس رؤياك رؤيا يوسف النبي صلى الله عليه وسلم وأما قولك بأني زنديق، فإن للزنادقة علامة يعرفون بها؟ قال: وما هي؟ قال: بشُرب الخمر والضّرب بالطنبور؛ قال: صدقت أبا عبد اللهّ، وأنت خير من الذي حمَلني عليك[3].

(1) العقد الفريد،151/1.
(2) العقد الفريد،246/1.
(3) العقد الفريد، 477/1.

تفاحة من عند تفاحة:

أهدت جارية من جواري المهدي تفاحة إلى المهدي وطيبتها. وكتبت فيها:

هديـــة منـــي إلـــى المهـــدي : تفاحـــة تقطـــف مـــن خـــدي
محمـــــرة مصـــــفرة طيبـــــت :: كأنهـــا مـــن جنـــة الخلـــد

فأجاب المهدي:

تفاحـــة مـــن عنـــد تفاحـــة : جـاءت فمـاذا صـنعت بـالفؤاد
والله مـــــا أدري أأبصـــــرتها :: يقظان أم أبصرتها في الرقاد[1]

كل امرئ يأكل زاده:

خرج أبو دلامة مع المهدي في مصاد لهم، فعن لهم ظبي فرماه المهدي فأصابه، ورمى علي بن سليمان فأخطأ وأصاب الكلب، فضحك المهدي وقال لأبي دلامة: قل. فقال:

قـــد رمـــى المهـــدي ظبيـــاً : شـــك بالســـهم فـــؤاده
وعلـــي بـــن ســـليما :: ن رمـــى كلبـــاً فصـــاده
فهنيئـــاً لهمـــا كـــ : ل امـــرئ يأكـــل زاده

هجاء نفسه أقل ضرراً عليه:

ودخل أبو دلامة على المهدي، وعنده محمد بن الجهم وزيره، وكان المهدي يستثقله فقال له: أبا دلامة، والله لا تبرح مكانك حتى تهجو أحد الثلاثة. فهم أبو دلامة بهجاء ابن الجهم، خاف شره، فرأى أن هجاء نفسه أقل ضرراً عليه، فقال:

ألا أبلـــغ لـــديك أبـــا دلامـــه :: فلـيس مـن الكـرام ولا كرامـه

(1) العقد الفريد، 43/3.

إذا لبس العمامة كان قرداً : وخنزيراً إذا وضع العمامه
وإن لزم العمامة كان فيها :: كقرد ما تفارقه الدمامه (1)
:
::
:

أليس قد جلس هذا المجلس أبوك وعمك قبلك؟

ودخل صالح بن بشر على المهدي، فقال له: عظني فقال: أليس قد جلس هذا المجلس أبوك وعمك قبلك؟ قال نعم، قال: فكانت لهم أعمال ترجو لهم النجاة بها، قال: نعم قال: فكانت لهم أعمال تخاف عليهم الهلكة منها قال: نعم قال: فانظر ما رجوت لهم فيه فآته وما خفت عليهم فيه فاجتنبه(2).

كم سنك يا فتى؟

حكى المسعودي في شرح المقامات: أن المهدي لما دخل البصرة رأى إياس بن معاوية وهو صبي وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة وإياس يقدمهم، فقال المهدي لعامله: أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث؟ ثم إن المهدي التفت إليه وقال: كم سنك يا فتى؟ فقال: سني أطال الله بقاء الأمير، سن أسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً فيهم أبو بكر وعمر، فقال له: تقدم بارك الله فيك (3).

أتهزأ بخالي؟

دخل بشار على المهدي وعنده خاله يزيد بن منصور الحميري: فأنشده قصيدة يمدحه بها فلما أتمها قال له يزيد: ما صناعتك أيها الشيخ فقال: أثقب اللؤلؤ، فقال له المهدي: أتهزأ بخالي؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما يكون جوابي له وهو يراني شيخاً أعمى ينشد شعراً فضحك المهدي

(1) العقد الفريد، 54/3.
(2) الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1418هـ - 1998م، 194/1.
(3) الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، 292/1.

وأجازه [1].

كذاب أمير المؤمنين:

وكان المهدي قد غضب على رجل من القواد، واستصفى ماله، وكان يختلف إلى علي بن يقطين، رجاء أن يكلم له المهدي، وكان يرى قرب المديني، ومكانه من علي، فأتى المديني عشيًّا فقال: ما البشرى؟ قال: لك البشرى وحكمك، قال: أرسلني علي بن يقطين إليك وهو يقرئك السلام ويقول: قد كلمت أمير المؤمنين في أمرك، ورضي عنك، وأمر برد مالك وضياعك ويأمرك بالغدو إليه لتغدو معه إلى أمير المؤمنين متشكراً. فدعا له الرجل بألف دينار وكسوة وحملان، وغدا على علي مع جماعة من وجوه العسكر متشكراً، فقال له علي: وما ذاك؟ قال: أخبرني أبو فلان - وهو إلى جنبه - كلامك أمير المؤمنين في أمري ورضاه عني، فالتفت إلى المديني وقال: ما هذا؟ فقال: أصلحك الله، هذا بعض ذلك المتاع نشرناه، فضحك علي وقال: علي بدابتي، وركب إلى المهدي، وحدثه الحديث، فضحك المهدي وقال: إنا قد رضينا عن الرجل ورددنا عليه ماله، وأجرى على المديني رزقاً واسعاً، واستوصى به خيراً، ثم وصله، وكان يعرف بكذاب أمير المؤمنين [2].

قد بات في جبة ملاح:

قال أبو العتاهية: خرجت مع المهدي إلى الصيد فتفرق أصحابه وبقيت معه وقد أقبل علينا المطر، فانتهينا إلى ملاح معه زورق فقال لنا: ادخلا من هذا المطر. فدخلنا ووقعت الرعدة على المهدي من شدة البرد فقال له الملاح: هل لك أن ألقي عليك جبتي؟ فقال: نعم. فألقاها عليه. فما زال يتقرقف حتى نام، ثم أقبل الخدم والغلمان وألقوا عليه الخز والوشي، فلما انتبه أمر بدفع ذلك إلى الملاح وقال: يا أبا العتاهية ألا هجوتني! فقلت: يا أمير المؤمنين وكيف تطيب نفسي بهجائك؟ قال: فإني أسألك بالله، فقلت:

(1) الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، 61/2.
(2) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري، المحاسن والأضداد، مكتبة الخانجي - القاهرة / مصر - 1415هـ - 1994م، ص31.

يـا لابـس الوشـي علـى شـيبه ⁝ مـا أقـبح الأشـيب فـي الـداح

فنقر نقرة ثم قال: زدني، فقلت:

لـو شئت أيضاً جُلت فـي خامـةٍ ⁝ وفـــي وشـــاحين وأوضـــاح

فقال: ويلك زدني، فقلت:

كم من عظيم الشأن في نفسه ⁝ قـد بـات فـي جبـة مـلاح[1]

فمن أنت؟

وقال الحسن بن الفضل بن الربيع: خرج علينا المهديّ متنكراً ومعه الربيع والمسيّب بن زهير يطوف في الأسواق إذ نظر إلى أعرابي ينشد فقال الربيع: أخبرني عن أرق بيت قالته العرب، قال: بيت امرئ القيس بن حجر:

ومـا ذرفـت عينـاك إلا لتضـربي ⁝ بسـهميك فـي أعشـار قلـبٍ مقتّل

فقال المهدي: بيت قد داسته العامة وفيه غلطٌ. ثم قال للمسيب: هات ما عندك. فقال:

ومما شجاني أنها يوم أعرضت ⁝ تولـت ومـاء العـين فـي الجفـن حـــــــــــــــائر
فلمـا أعـادت مـن بعيـد بنظـرةٍ ⁝ إلـيّ التفاتـاً أسـلمتها المحـاجر

وسلمتها أيضاً. فقال: وإن هذا قريبٌ من ذاك. وخلفهم شابّ من أهل المدينة له أدب وظرف وقدم متظلماً فطال مقامه على باب المهدي، فلما سمع ذلك منهم حمله ظرف الأدب على أن أدخل نفسه بينهم واتصل بهم وقال: أتأذنون أن أخوض معكم فيما أنتم فيه؟ قالوا: ماذا؟ قال: قال الأحوص:

إذا قلـت إنـي مشـتفٍ بلقائهـا ⁝ فحمَّ التلاقي بيننا زادني وجدا

(1) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص124.

:

فقال المهدي: أحسنت يا فتى، فمن أنت؟ قال: أنا رجل من أهل المدينة. قال: وما أقدمك العراق؟ قال: مظلمة لي أنا مقيم عليها بباب الخليفة منذ كذا وكذا وقد أضرّ بي ذلك. فقال للربيع: عليك بالرجل. فأخذه معه وسامره أياماً ثم أمر بردّ مظلمته وقضى حوائجه وأمر له بصلة عشرة آلاف درهم[1].

لم يرض لك إلا بأرفعها وأشرفها:

ودخل شبيب بن شيبة على المهدي فقال: يا أمير المؤمنين إن الله جل وعز حيث قسم الدنيا لم يرض لك إلا بأرفعها وأشرفها فلا ترض لنفسك من الآخرة إلا بمثل ما رضي لك من الدنيا، وأوصيك يا أمير المؤمنين بتقوى الله فإنها عليكم نزلت ومنكم قُبلت وإليكم تُردّ[2].

إن الكريم إذا خادعته انخدعا:

وخط المهدي على بعض القحاطبة فقال: لا أراه إلا والسيف مسلول والنطع منشور. فأتي به وقد سل السيف ونشر النطع فبكى فقال: ألك مثل حركتك وتبكي؟ فقال: ما بكيت جزعاً من الموت ولكن بكيت أن ألقى الله وأنت ساخط عليّ. فقال المهدي: يا غلام أدرج النطع وأغمد السيف:إن الكريم إذا خادعته انخدعا.

قيل: وعاتب المهدي شبيب بن شيبة في شيء بلغه عنه. فاعتذر إليه وقال: والله لو كان لي ذنب لأقررت ولكن عفو أمير المؤمنين أسرع إلي من براءتي[3].

خلّوا سبيله:

قال: ولما خرج جعفر الأحمري من الحبس وأُدخل على المهدي في الحديد قال له: يا فاسق أزلّك الشيطان وأغواك، وفي غمرة الجهل أرداك، وعن الهدى بعد البصيرة أعماك، حتى تركت الطريقة ودخلت فيما لا

(1) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص179.
(2) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص188.
(3) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص216.

أصل له ولا حقيقة، كيف رأيت الله كشف أمرك وأعلن فسقك وأظهر ما كنت تخفي من سقم سريرتك وخبث نيتك فأوردك حوض منيتك وذلك بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد! قال جعفر: لا والذي لم يزل بعباده خبيراً، وبعث محمداً، عليه وعلى آله السلام، بالحق بشيراً، طهر أهله من دنس الريب تطهيراً، ووقفني بيد يديك أسيرًا، وجعلك علينا سلطاناً أميرًا، ما خنت الإسلام نقيرًا، ولا أضللت الهدى منذ كنت بصيرًا، فلا تقدم عليّ بالشبهة تقديرًا، بسعي ساعٍ سوف يجزي بسعيه سعيرًا.

فقال المهدي: ما يغني عنك وسواسك، فما تهذي من أم رأسك، قد تناهت إليّ أخبارك، وأدّاها من كان يقفو آثارك، ويعرف أسرارك، ومن بايعك من أعوانك الذين وازروك على ضلالك، فأقلل، لا أم لك، تشجعك، فقد حلّ قضاؤك، وحان حصادك.

فقال جعفر: إن تقتلني تقتل مني علماً فلا تجعل لي على ظهرك وزراً فأصير لك يوم القيامة خصمًا، وأنت تعلم أنك لا تجيء بقتلي عدلاً ولا تنال به فضلاً، فاتق الذي خلقك وأمر عباده ملكك وبالعدل فيهم أمرك، ولا تحكم عليّ بحكم عن الهدى مائل، فإنك للدنيا مفارق وعنها راحل، وكلّ ما أنت فيه فمضمحل زائل.

قال له المهدي: تطالبني وأنت المطلوب، وبباطلك تغلب حقي وأنت المغلوب، الآن ظهر فسادك، وبلغ غرسك، ودبّت عقاربك، اللهم إلا أن تقرّ بذنبك وتعترف بجرمك وتتوب إلى ربك وتحقن بالإنابة دمك، فإن فعلت ذلك أمهلنا أمرك وأطلنا حبسك وإلا فاحتسب نفسك ولا تلم إلا جهلك.

قال جعفر: ما لي ذنب فأستغفر ولا جرم فأعترف ولا لي بك قوة فأنتصر، وأنت على ظلمي مقتدر، فإن كنت تعلم أن ما بعد الموت مصدر ولا للعباد بعد البلى محشر ولا للظالم موعد يخاف منه ويحذر فاعمل من هذا ما شئت واستكثر.

قال المهدي: لا والذي بمكة بيته الحرام، وحوله الشعث العاكفون قيام، ما أخشى في إقامة الأحكام عليك وعلى أشباهك إثماً ولا زوراً، فاستسلم

للقتل ودع الكلام، فإنه إذا عقر الأساس تداعى النظام، وإذا انكسرت القوس تعطلت السهام، وأنت فطال ما أعنت على إطفاء النور بريح الظلام.

قال جعفر: اعف فإنك كريم جواد سامح، ولا تقبل فيّ قول العدو الكاشح، فإني من الإسلام على الطريق الواضح، رفيق على أهله ولهم ناصح، أبرّ العالمين بفهم راجح، فلا تقدم عليّ بقول كلب نابح، فقتلك إيايّ عمل غير صالح.

قال المهدي: مذهبك واعتقادك تزعم أن الآخرة بعد فراق الساهرة، وأن الناس كانوا أعلاماً زاهرة، وأشجاراً ناضرة، وزروعاً غاضرة، تلبث يسيراً ثم تعود هشيماً، وإن من مات لا يعود كما أن ضوء المصباح إذا طفئ لا يرجع.

قال جعفر: لا والذي يخلق ويبيد، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، ما قلت ذلك وهو له شهيد، وإني أخلّص له التوحيد والتفريد والمشية والتحديد، وأشهد أنه الغفور الودود، يعلم منقلب العبيد.

قال المهدي: إن كنت تحب خلاص نفسك ورقبتك فأحضرني كتاب زندقتك الذي بالجهل ألّفته وبالباطل زيّنته وبالضلال زخرفته، سميته أسّ الحكمة وبستان الفلسفة، زعمته مستخرجاً من ديوان الإلهام منظماً بحسن الكلام، عنّفت فيه الإسلام وأضللت فيه الأنام.

فقال جعفر: لا والذي خلق الظلمات والنور، ودبّر الأمور وهو قادر على أن يبعث من في القبور، ما هذا إلا إفك مجترح وزور، وإن ديني لظاهر منير تقديمي ذرية من هو مع الله جل وعز في كل فرض لازم أمام النبيين في البيت المعمور، فاتق الذي خلقك وأمر عبادك قلّدك يعلم خفيات الأمور.

قال المهدي: وأصفح لك عن هذا فما حجتك في كتابك الذي أضلّ أهل الشقاق والنفاق ومن منهم في الأندية والأسواق يقرأونه ويتدارسونه في الآفاق، أما بعد أعلمكم أن الله جل وعز عدل لا يوالي الظالمين ولا يرضى فعال الجاهلين، وأنه ليس لله بوليّ من رضي بأحكام الجائرين، فسيحوا في

الأرض حيث لا تنالكم أيدي المعتدين، فإن بني العباس طغاة كفرة، أولياؤهم فسقة وأعوانهم ظلمة، دولتهم شرّ الدول، عجّل الله بوارهم وهدم منارهم والعاقبة للمتقين.

قال جعفر: هذا والله بهتان عظيم جدًّا قذفني به قاذف عمداً وأنت تعلم أني ما خالفت لكم أمراً ولا غبت منكم أحداً، فاقبل المعذرة وأقل العثرة وتغمد الهفوة واغتفر الزلة فإنك راعٍ مسؤول.

قال المهدي: أولم أُبلَّغ أنك في الغوغاء تحثهم على شق العصا ومخالفة الأمر وتحيدهم عن طاعة الخلفاء، فأي داهية أدهى منك؟ قال جعفر: ما بُلّغت حقًّا ولقد طوى النصيحة من أودع قلبك بهتاناً وإفكاً فلا تقبل فيّ قول من ظلم واعتدى وبفسادي إليك سعى، فإن الله جلّ وعز سائله يوم يودّ الظالم يا ليته لم يكن أميراً، ولا كان المضلّ له وزيراً.

قال المهدي: إنك لجاهل أن تقيم اعوجاجك بكثرة احتجاجك، هيهات لا يكدر صفوتي مزاجك، وقد قيل: من ظفر بحية لا يأمن لسعها ثم لم يشدخ رأسها كانت سبب حتفه، ولعمري إن من يكون له عدو مثلك يرقب غرّته وينتظر فورته ولا يطلق يده بقتله لعاجز.

قال جعفر: وما بلغ الله بقدر النملة ونكاية النحلة وإنما يكتفي مثلي من مثلك بلحظة، فالكرماء رحماء بررة، والقسوة في اللئام الشررة. قال المهدي: من تنته أيامه لاحت في الظلام أعلامه وأسرع به أن يذوق حمامه، يا غلام سيفاً قاطعاً وضارباً حاذقاً! قال جعفر: إن كنت تؤمن بالمعاد وتتقي من الحشر يوم التناد، يوم يجمع الله فيه العباد، تعلم أن طالب ثأري لك بالمرصاد، ومن لم يكن له في الموت خير فلا خير له في الحياة، إن قدّمتني أمامك فأنا قاعد لك على الجادة التي ليس عنها مرحل الحاكم يومئذ غيرك.

قال: فسكت المهدي طويلاً ثم التفت إلى أصحابه فقال: كيف أقدم على قتل رجل لا يخاف مكيدتي ولا يرعبه سلطاني ولا يتقي سطوتي وأعواني، يناصبني كلامي ويفسخ احتجاجي، كيف ولو كنا بين يدي من لا يخاف جوره ولا يُتقى ميله وحيفه كان لسانه أمضى وقلبه أجرى وخصمه

أذلّ! خلّوا سبيله. فمضى[1].

مزاح الشعراء:

قيل: دخل أبو دلامة على المهدي فسلّم ثم قعد وأرخى عينيه بالبكاء. فقال له: ما لك؟ قال: ماتت أم دلامة. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! ودخلت له رقّةٌ لما رأى من جزعه، فقال له: أعظم الله أجرك يا أبا دلامة! وأمر أن يعطى ألف درهم وقال له: استعن بها في مصيبتك. فأخذها ودعا له وانصرف. فلما دخل إلى منزله قال لأم دلامة: اذهبي فاستأذني على الخيزران فإذا دخلت عليها فتباكي وقولي مات أبو دلامة. فمضت واستأذنت على الخيزران، فأذنت لها، فلما اطمأنت أرسلت عينها بالبكاء، فقالت لها: ما لك؟ فقالت: مات أبو دلامة. فقالت: إنا لله عظّم الله أجرك! وتوّجعت لها ثم أمرت لها بألفي درهم، فدعت لها وانصرفت. فلم يلبث المهدي أن دخل على الخيزران، فقالت: يا سيدي أما علمت أن أبا دلامة مات؟ قال: لا يا حبيبتي إنما هي امرأته أم دلامة. قالت: لا والله إلا أبو دلامة. فقال: خرج من عندي الساعة آنفاً. فقالت: خرجت من عندي الساعة. وأخبرته بخبرها وبكائها. فضحك وتعجّب من حيلهما[2].

ما أسرعك للأولى وأبطأك عن الثانية؟!:

ولما وفد المهدي من الري إلى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة:

::
إني نذرت لئن رأيتك قادما : أرض العراق وأنت ذو وقر
لتصلين على النبي محمد :: ولتملأن دراهما حجري
:

فقال المهدي صلى الله على محمد، فقال أبو دلامة: ما أسرعك للأولى وأبطأك عن الثانية؟! فضحك وأمر ببدرة فصبت في حجره [3].

(1) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص222 - 224.
(2) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص254.
(3) شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف،

أتاني آت في منامي:

ودخل على المهدي أعرابي فقال له: فيم جئت؟ قال: أتيتك برسالة قال هاتها. قال: أتاني آت في منامي فقال: ائت أمير المؤمنين فأبلغه هذه الأبيات:

لكم إرث الخلافة من قريش ... تزف إليكمو أبدا عروسا
إلى هارون تهدى بعد موسى ... تميس وما لها أن لا تميسا

فقال المهدي: يا غلام علي بالجواهر فحشا فاه حتى كاد ينشق ثم قال اكتبوا هذه الأبيات واجعلوها في بخانق صبياننا[1].

ليس إلا بكم يتم السرور:

كتب المهدي إلى الخيزران وهو بمكة:

نحن في أفضل السرور ولكن ... ليس إلا بكم يتم السرور
عيب ما نحن فيه يا أهل ودي ... أنكم غبتم ونحن حضور
فأجدوا المسير، بل إن قدرتم ... أن تطيروا مع الرياح فطيروا

فأجابته:

قد أتانا الذي وصفت من الشو ... ق فكدنا وما فعلنا نطير
ليت أنّ الرياح كن يؤدي ... ن إليكم ما قد يجنّ الضمير
لم أزل صبّةً فإن كنت بعدى ... في سرورٍ فدام ذاك السرور[2]

تحقيق د.مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، 1986، 10/2.

(1) شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، 166/2.

(2) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ص173.

يا هذا هل أسأت إليك قط؟

وسمع المهدي إنسانًا يدعو عليه فقال: يا هذا هل أسأت إليك قط؟ قال: لا ولكنني مللتك! فقال: أو لم أتولّ منذ شهرين؟ فقال: أو لم يكن في ذلك ما يمل؟ إني لأمل كنيتي فأغيرها في الشهر مرتين [1].

خذ درهماً ومر في حفظ الله!:

خرج المهدي إلى الصيد فتفرد مع غلام فرأى أعرابياً فقال: إني أريد أن أضحك من هذا الأعرابي. فأتاه الغلام فقال: أجب أمير المؤمنين. فقال: ما لي ولأمير المؤمنين؟ فزناه وشتمه. فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين هذا شتمني فقال المهدي: يا غلام أعطه دانقاً. فقال الأعرابي: أدية فريتكم دانق يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. قال: فأنت زان وابن زانية وابن زان، خذ درهماً ومر في حفظ الله! [2].

الغلام وجارية المهدي:

قال جحظة: حدثني ابن أخت الحاركي: أن خادماً ممن خدم أباه جاءه يخبره أن عند جاريةٍ في بعض قصوره رجلاً، فلبس حلةً وسار إلى القصر، فألفى عندها غلاماً شاباً، له ذؤابتان، كأنه قضيب فضة، فسأله عن دخوله وكيف كان، وما شأنه. فقال: إن هذه الجارية كانت لوالدتي، وكان بيني وبينها ألفة، فلما بيعت لأمير المؤمنين، صرت إلى الباب متعرضاً لها، فأذنت في الدخول، فدخلت على أحد أمرين: إما أن أظفر بما أريد أو أقتل فأستريح.

فأمر المهدي بإحضار سياط، ونصبه بينها، ثم ضربه عشرين سوطاً، ورفع عنه الضرب وقال: ما أصنع بتعذيبك، ولست بتاركك حيًّا، ولا تاركها، يا غلام، سيف ونطع! فلما أتي بذلك، وأجلس الغلام في النطع قال: يا أمير المؤمنين! قبل أن ينزل بي القتل، وهو دون حقي، اسمع مني

(1) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 79/1.
(2) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 186/1.

ما أقول! قال: هات، فأنشأ يقول:

ولَقد ذكرْتُك والسّياطُ تنوشُني :: عندَ الإمامِ وساعدي مَغْلُولِ
وَلَقَد ذكرْتُكِ والذي أنا عبدُه :: والسيفُ بينَ ذُؤابتي مَسلُولُ

فأطرق المهدي وتغرغرت عيناه بالدموع. ثم قال: يا غلام، ائتني بإزار! فأتي به، فقال: الففهما به جميعاً، بعد أن تنزع ثيابهما، وأخرجهما عن قصري، ففعل ذلك[1].

نومة عبود:

قال عبد الله بن محمد أبو جمعة الوراق: أخبرت أن المهدي دخل الكوفة فقال لأبي الأحوص محمدبن حيان الكوفي: حدثنا حديثاً من طرائف الأخبار بما حضرك، قال: كان في الزمان الأول رجل يقال له عبود وكان عاشقاً لابنة عم له فحضرتها الوفاة، فأزعجه ذلك، وأقلقه، فلما توفيت صار إلى المسيح، فسأله أن يحييها قال: لن يتهيأ ذلك أو تهب لها من عمرك شيئاً. قال: قد وهبت لها نصف عمري، فصار المسيح إلى تربتها، فوقف عليها، وسأل ربه أن يحييها فأحياها، فأخذ بيدها عبود، ومضى يريد بها أله، فأدركه الفتور في بعض الطريف، فحط رحله، ووضع رأسه في حجرها، واستقل نوماً.

فاجتاز بها ملك الناحية فرأى وجهاً جميلاً وخلقاً حسناً، فعرض عليها صحبته، فأجابته، فأمرها، فوضعت رأسه من حجرها، وحملها في قبة كانت معه، فلما انتبه عبود بقي متلدداً، فبينا هو كذلك إذ تلقاه نفر يتواصفون الجارية وبراعة خلقها، فسألهم عن الخبر، فأعلموه أنهم رأوا مع الملك امرأة لحقها فجعل يذكرها العهد، وهي ساكتة، ويسألها النزوع عما هي عليه، وهي مزورة عنه، إلى أن قال: ويحك قد كنت توفيت، فصرت في جملة الموتى، فسألت المسيح، فأحياك لي على أني أعطيتك من عمري نصفه، فإن كنت لا تساعديني ولا تصيرين معي إلى أهلي

(1) السرّاج القارئ، مصارع العشاق، ص 33 - 34.

وأهلك، فردي علي ما وهبت لك من عمري.

قالت: فإني قد رددته عليك، ولا حاجة لي فيه، فما أتمت هذه الكلمة حتى وقعت ميتة، وانصرف عبود إلى أهله مغتبطاً، فضربت العرب بنومة عبود مثلاً[1].

أعيذك بالله أن تكون النحس:

قال أبو سمير عبد الله بن أبي أيوب: لما خرج المهدي، فصار بعقبة حلوان، استطاب الموضع، فتغدى ودعا بحسنة، فقال لها: أما ترين طيب هذا الموضع، فغنيني، فأخذت محكةً كانت في يده وأوقعت بها على مخدة، وغنته:

أيَا نَخلَتَيْ وَادي بُوَانَةَ! حَبّذا :: إذا نَامَ حُرّاسُ النّخِيلِ، جَناكُمَا

فقال: أحسنت! لقد هممت بقطع هاتين النخلتين، يعني نخلتي حلوان. فقالت: أعيذك بالله أن تكون النحس. قال: وما ذاك؟ قالت: قول الشاعر فيهما:

أسعدَاني يَا نَخلَتَيْ حُلْوَانِ، : وَابكِيا لي من رَيب هذا الزّمَانِ
وَاعْلَمَا، إنْ بَقِيتُمَا، أنّ نَحساً :: سَوْفَ يَأتِيكُمَا، فَتَفتَرِقَانِ

فقال: لا أقطعهما أبداً، ووكل بهما من يحفظهما[2].

المهدي وأنسب بيت:

قال عبد الأعلى بن عبد الله بن صفوان الجمحي: حملت ديناً بعسكر المهدي، فركب المهدي يوماً بين أبي عبيد الله وعمر بن بزيع، وأنا وراءه، في موكبه على برذون قطوف، فقال: ما أنسب بيت قالته العرب؟ قال أبو عبيد الله: قول امرئ القيس:

وَمَا ذرَفَتْ عَيْنَاكِ إلا لتَضرِبي :: بسَهمَيكِ في أعشَارِ قلبٍ مُقتَلِ

(1) السرّاج القارئ، مصارع العشاق،ص 87 - 88.
(2) السرّاج القارئ، مصارع العشاق،ص 164.

:

قال: هذا أعرابي قح. فقال عمر بن بزيع: قول كثير يا أمير المؤمنين:

أرِيدُ لأنسَى ذِكْرَهَا، فكأنّما ∴ تَمَثَّلُ لي بلَيلى بكلّ سَبيلِ

فقال: ما هذا بشيء، وما له يريد أن ينسى ذكرها، حتى تمثل له؟ فقلت: عندي حاجتك يا أمير المؤمنين! قال: الحق بي. قلت: لا لحاق لي، ليس ذلك في دابتي، قال: احملوه على دابة. قلت: هذا أول الفتح، فحملت على دابة، فلحقته، فقال: ما عندك؟ قلت: قول الأحوص:

إذا قُلتُ إني مُشتَفٍ بِلِقائِها ∴ فحَمّ التّلاقي بَينَنا زَادَني سُقمَا

فقال: أحسنت! حاجتك؟ قلت: علي دين. فقال: اقضوا دينه، فقضي دينه[1].

القباح غوال وإن رخصن:

قال الحسن الوصيف حاجب المهدي: كنا بزيالة، وإذا أعرابي يقول: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداءك! إني عاشق. قال: وكان يحب ذكر العشاق والعشق، فدعا الأعرابي، فلما دخل عليه قال: سلام عليك، يا أمير المؤمنين، ورحمة الله وبركاته، ثم قعد. فقال له: ما اسمك؟ فقال: أبو مياس. قال: يا أبا مياس! من عشيقتك؟ قال: ابنة عمي، وقد أبى أبوها أن يزوجنيها. قال: لعله أكثر منك مالاً؟ قال: لا! قال: فما القصة؟ قال: أدن مني رأسك؟ قال: فجعل المهدي يضحك وأصغى إليه رأسه، فقال: إني هجين، قال: ليس يضرك ذاك، إخوة أمير المؤمنين وولده أكثرهم هجن. يا غلام علي بعمه.

قال: فأتي به، فإذا أشبه خلق الله بأبي مياس كأنهما باقلاّة فلقت. فقال المهدي: ما لك لا تزوج أبا مياس وله هذا اللسان والأدب وقرابته منك؟ قال: إنه هجين. قال: فإخوة أمير المؤمنين وولده أكثرهم هجن، فليس هذا مما ينقصه، زوجها منه، فقد أصدقتها عنه عشرة آلاف درهم، قال: قد فعلت. فأمر له بعشرين ألف درهم، فخرج أبو مياس، وهو يقول:

(1) السرّاج القارئ، مصارع العشاق،ص 178/177.

ابتَعـتُ أسـوَاقَ القِبَـاحِ لأهلِهـا ⁝ إنّ القِباحَ وَإنْ رَخُصْنَ غَوَالِ [1]

العمل للكفاءة:

قدم مرزبان من مرازبة فارس [2] باب السلطان في أيام المهدي يشكو عاملهم، فقال لأبي عبيد الله الوزير: أصلحك الله. إنك وليت علينا رجلاً، إن كنت وليته وأنت تعرفه، فما خلق الله رعية أهون عليك منا، وإن كنت لم تعرفه، فما هذا جزاء الملك الذي ولاك أمره، وأقامك مقامه. فدخل أبو عبيد الله على المهدي وأخبره، وخرج فقال: إن هذا رجل كان له علينا حق فكافأناه. فقال له: أصلحك الله، إنه كان على باب كسرى ساجة منقوشة بالذهب مكتوب عليها: العمل للكفاءة، وقضاء الحقوق على بيوت الأموال، فأمر المهدي بعزل العامل [3].

أنت نبي؟

ادّعى رجل في زمن المهدي النبوة، فأدخل إليه، فقال له المهدي: أنت نبي؟ قال: نعم. قال: فإلى من بعثت؟ قال: وتركتموني أذهب إلى من بعثت؟ بعثت بالغداة وحبستموني بالعشي، فضحك المهدي حتى فحص برجله، وأمر له بجائزة وخلى سبيله [4].

فما تقول لجبريل؟

وتنبأ آخر في زمن المهدي، فقال له: إلى من بعثت؟ فقال: وتركتموني أذهب إلى من بعثت إليه؟ بعثت بالغداة ووضعتموني في السجن بالعشي، فضحك المهدي حتى ضرب برجليه. وقال: صدقت يا هذا. عاجلناك، فإن نحن خليناك تذهب إليهم؟ قال: لا والله، قد بدا لي، أخاف أن يصنعوا بي كما صنعتم. قال: فما تقول لجبريل؟ قال: أقول له: ابعثوا من شئتم فإني أحتاج أن أقتل الحبال. فضحك المهدي، واستتابه وخلاه.

---

(1) السرّاج القارئ، مصارع العشاق،ص 189.
(2) المرزبان أحد كبار رجال الدين المجوسي.
(3) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1424 هـ - 2004 م، 125/2 - 126.
(4) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، 155/2.

أكافر أنا عندك أم مؤمن؟

وتنبأ آخر في زمن المهدي فأمر بإحضاره، فلما مثل بين يديه قال له: أنت نبي؟ قال: نعم. قال: ومتى بعثت؟ قال: وما تصنع بالتاريخ؟ قال: ففي أي موضع جاءتك النبوة؟ قال: وقعنا. والله ليس هذا من مناظرات الأنبياء، إن كان عزمك أن تصدقني فكل ما قلت لك اعمل به، وإن عزمت أن تكذبني فدعني رأساً برأس. قال المهدي: هذا لا يجوز فإن فيه فساد الدين. فغضب وقال: واعجباه تغضب أنت لفساد دينك ولا أغضب أنا لفساد ديني؟ فوالله ما قويت إلا بمعن بن زائدة والحسن بن قحطبة ومن أشبههما، فضحك المهدي وقال لشريك القاضي: ما تقول فيه؟ قال المتنبئ: تشاور ذاك في أمري ولا تشاورني؟ قال: هات ما عندك. قال: أكافر أنا عندك أم مؤمن؟: قال: كافر. قال: فإن الله يقول:{ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ} [الأحزاب: ٤٨][1].

والله ما ذاك شأني:

قال الربيع: لما حبس المهدي موسى بن جعفر رضي الله عنه رأى في النوم عليًّا - رضي الله عنه - وهو يقول له: يا محمد،{ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ} [محمد: ٢٢]، قال الربيع: فأرسل إلي ليلاً فراعني ذلك، وإذا هو يقرأ هذه الآية - وكان أحسن الناس صوتاً - فعرفني خبر الرؤيا. وقال: علي بموسى بن جعفر. فجئته به، فعانقه وأجلسه إلى جانبه، وقال: يا أبا الحسن، إني رأيت أمير المؤمنين رضي الله عنه فقرأ علي كذا. أفتؤمنني أن تخرج علي، أو على أحدٍ من ولدي؟ فقال: والله ما ذاك شأني. فقال: صدقت يا ربيع، أعطه ثلاثة آلاف دينار، ورده إلى أهله بالمدينة. قال الربيع: فأحكمت أثره ليلاً فلما أصبح كان على الطريق خوف العوائق.

وأمر بالحمام فذبحت:

وكان المهدي يحب الحمام، فأدخل عليه غياث بن إبراهيم، فقيل له: حدث أمير المؤمنين وكان قد بلغه استهتار المهدي بالحمام، فقال: حدثني فلان عن فلان عن أبي هريرة - رفعه - أنه قال: **لا سبق إلا في حافر أو**

(1) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، 158/2.

نصل أو جناح - فأمر له بعشرة آلاف درهم فلما قام. قال المهدي، وهو ينظر في قفا غياث: أشهد أن قفاك كذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما استجلبت ذلك أنا، وأمر بالحمام فذبحت[1].

دخل الأوزاعي على المهدي فقال له: إن الله قد أتاك فضيلة الدنيا، وكفاك طلبها؛ فاطلب فضيلة الآخرة فقد فرّغك لها [2].

أخصب من صبيحة ليلة الظلمة:

هبت ببغداد ريح عاصف، جاءت بما لم تأت به ريح قط فألفي المهدي ساجدا يقول: اللهم احفظ فينا نبيك، ولا تشمت بنا أعداءنا من الأمم، وأن كنت يا رب أخذت العامة بذنبي، فهذه ناصيتي بيدك، يا أرحم الراحمين. فلما أصبح تصدق بألف ألف درهم، وأعتق مائة رقبة، وأحج مائة رجل. وفعلت الخيزران وجلة خاصته وفواده مثل ما فعل. فكان الناس بعد ذلك إذا ذكروا الخصب قالوا: أخصب من صبيحة ليلة الظلمة[3].

إدن مني أقبل عينيك اللتين رأيت بهما رسول الله:

مر المهدي في طريق بين المقدس بديراني قيل له رأى النبي صلى الله عليه وسلم، فعدل إليه فقال: رأينه بعينك؟ قال: نعم، قال: إدن مني أقبل عينيك اللتين رأيت بهما رسول الله، فدنا مه فقبل عينيه[4].

فعجب الناس من سماحة خلقه:

قدم المهدي البصرة وأراد أن يصلي بالناس في جامعها، فقال أعرابي: يا أمير المؤمنين لست على طهر، وقد رغبت إلى الله تعالى في الصلاة خلفك. فقال: انتظروه رحمكم الله، ودخل المحراب ووقف، إلى أن قبل له: قد جاء الرجل فكبر، فعجب الناس من سماحة خلقه[5].

ثم خرجت من عنده بغير شيء:

(1) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، 64/3.
(2) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، 56/7.
(3) الزمخشري، ربيع الأبرار، 22/1.
(4) الزمخشري، ربيع الأبرار، 152/1.
(5) الزمخشري، ربيع الأبرار، 66/1.

قال الخليل: بعث إليَّ المهدي، فأتيته وهو جالسٌ في الماء على سريرٍ له إلى صدره، فسلمت عليه. فقال لي: إني اشتهيت الحديث الساعة، فحدثني! ثم قال: حدثني عن القمر! فلم أدر عن أيه أحدثه، ثم عرض لي أن قلت: قيل للقمر: كم أنت ابن ليله؟ قال: رضاع سخيله. قيل: لليلتين؟ قال: حديث أمتين بكذب ومين. قيل: ابن ثلاث؟ حديث فتيات مختلفات. قيل: ابن أربع؟ قال: عتمة أم الربع. قيل: ابن خمس؟ قال: سر وأمس. قيل: ابن ست؟ قال: سر وبت. قيل: ابن سبع؟ قال: عشية جمع. قيل: لثمان؟ قال: قمر إضحيان. قيل: لتسع؟ قال: مثقب الجزع. قيل: لعشر؟ قال: أبادر الفجر. ثم قلت: يا أمير المؤمنين، قيل: لا يحفظ هذا الحديث إلا عاقل. قال: فخذه عليَّ! فأعاده كما حدثته. ثم دعا بثيابه فخرج، وأتينا بمائدة عليها خمسة قوالب كأنها الثلج، فأكل وقال: كل! فأكلت، فلم أر شيئاً قط أطيب منه. فقال لي: هذا المخ بالطبرزد، وأتي بشراب شديد الحمرة حسن اللون، فشرب ثم قال: اشرب! فظننت أنه الخمر فقلت: لاأشرب من هذا. قال: اشرب، لا أم لك! فشربت شيئاً لم أشرب مثله قط فوجدت برده في عيني. فقال: هذا عصارة الرمان، وتفاح لبنان، وعسل إصبهان، وماء المسرقان، وثلج ماسبذان، بزعفران. ثم خرجت من عنده بغير شيء[1].

من كلامه:

- أقل ما يجب للمنعم إلا بتقوى نعمته على معصيته [2].

- كن ليناً في غير ضعف، وشديداً من غير عنف[3].

- وقال المهدي للربيع بن أبي الجهم، وهو والي أرض فارس: يا ربيع، آثر الحق، والزم القصد، وابسط العدل، وارفق بالرعية، واعلم أن أعدل الناس من أنصف من نفسه، وأظلمهم من ظلم الناس لغيره[4].

(1) المرزباني، نور القبس، 24/1.
(2) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص97.
(3) الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص 32.
(4) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 8/1.

مشاورة المهدي لأهل بيته في حرب خراسان:

هذا ما تراجع فيه المهدي ووزراؤه، وما دار بينهم من تدبير الرأي في حرب خراسان، أيام تحاملت عليهم العمال وأعنفت، فحملتهم الدالة وما تقدم لهم من المكانة، على أن نكثوا ببيعتهم ونقضوا موثقهم، وطردوا العمال، والتواوا بما عليهم من الخراج وحمل المهدي ما يحب من مصلحتهم، ويكره من عنتهم، على أن أقال عثرتهم، واغتفر زلتهم، واحتمل دالتهم؛ تطولا بالفضل، واتساعاً بالعفو، وأخذا بالحجة، ورفقاً بالسياسة. ولذلك لم يزل، منذ حمله الله أعباء الخلافة، وقلده أمور الرعية، رفيقا بمدار سلطانه، بصيراً بأهل زمانه؛ باسطاً للمعدلة في رعيته، تسكن إلى كنفه، وتأنس بعفوه، وتثق بحلمه. فإذا وقعت الأقضية اللازمة، والحقوق الواجبة، فليس عنده هوادة ولا إغضاء ولا مداهنة، أثرة للحق، وقيامًا بالعدل، وأخذًا بالحرم. فدعا أهل خراسان الاغترار بحلمه، والثقة بعفوه، أن كسروا الخراج، وطردوا العمال، وسألوا ما ليس لهم من الحق. ثم خلطوا احتجاجًا باعتذار، وخصومة بإقرار، وتنصلاً باعتلال. فلما انتهى ذلك إلى المهدي خرج إلى مجلس خلائه، وبعث إلى نفر من لحمته ووزرائه، فأعلمهم الحال، واستنصحهم للرعية، ثم أمر الموالى بالابتداء، وقال للعباس بن محمد: أي عم؛ تعقب قولنا، وكن حكماً بيننا. وأرسل إلى ولديه موسى وهارون فأحضرهما الأمر، وشاركهما في الرأي، وأمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم، وإثبات مقالتهم في كتاب.

فقال سلام صاحب دار المظالم: أيها المهدي: إن في كل أمر غاية ولكل قوم صناعة، استفرغت رأيهم، واستغرقت أشغالهم، واستنفدت أعمارهم، وذهبوا بها معونتنا عليها، أقوام من أبناء الحرب، وساسة الأمور، وقادة الجنود، وفرسان الهزاهز، وإخوان التجارب، وأبطال الوقائع، الذين رشحتهم سحالها، وفيأتهم ظلالها، وعضتهم شدائدها، وقرمتهم نواجذها. فلو عجمت ما قبلهم، وكشعت ما عندهم، لوجدت نظائر تؤيد أمرك، وتجارب توافق نظرك، وأحاديث تقوي قلبك. فأما نحن، معاشر عمالك، وأصحاب دواوينك، فحسن بنا وكثير منا أن نقوم بثقل ما حملتنا من عملك، واستودعتنا من أمانتك، وشغلتنا به من إمضاء عدلك،

وإنفاذ حكمك، وإظهار حقك.

فأجابه المهدي: إن في كل قوم حكمة، ولكل زمان سياسة، وفي كل حال تدبيراً، يبطل الآخر الأول، ونحن أعلم بزماننا وتدبير سلطاننا.

قال: نعم، أيها المهدي، أنت متسع الرأي، وثيق العقدة، قوي المنة، بليغ الفطنة، معصوم النية، محضور الروية، مؤيد البديهة موفق العزيمة، معان بالظفر، مهدي إلى الخير. إن هممت ففي عزمك مواقع الظن، وإن أجمعت صدع فعلك ملتبس الشك. فاعزم يهد الله إلى الصواب قلبك، وقل ينطق الله بالحق لسانك؛ فإن جنودك جمة، وخزائنك عامرة، ونفسك سخية، وأمرك نافذ.

فأجابه المهدي: إن المشاورة والمناظرة بابا رحمة، ومفتاحا بركة، لا يهلك عليهما رأي، ولا يتفيل معهما حزم، فأشيروا برأيكم، وقولوا بما يحضركم، فإني من ورائكم، وتوفيق الله من وراء ذلك.

قال الربيع: أيها المهدي، إن تصاريف وجوه الرأي كثيرة وإن الإشارة ببعض معاريض القول يسيرة. ولكن خراسان أرض بعيدة المسافة، متراخية الشقة، متفاوتة السبل. فإذا ارتأيت من محكم التدبير، ومبرم التقدير، ولباب الصواب، رأيا قد أحكمه نظرك، وقلبه تدبيرك، فليس وراءه مذهب الحجة طاعن، ولا دونه معلق لخصومة عائب؛ ثم خبت البرد به، وانطوت الرسل عليه، كان بالحري أن لا يصل إليهم محكمه، إلا وقد حدث منهم ما ينقضه. فما أيسر أن ترجع إليك الرسل، وترد عليك الكتب، بحقائق أخبارهم، وشوارد آثارهم، ومصاده أمورهم، فتحدث رأياً غيره، وتبتدع تدبيراً سواه، وقد انفرجت الحلق، وتحللت العقد، واسترخى الحقاب، وامتد الزمان. ثم لعلما موقع الآخرة كمصدر الأولى. ولكن الرأي لك أيها المهدي - وفقك الله - أن تصرف إجالة النظر وتقليب الفطر، فيما جمعتنا له، واستشرتنا فيه، من التدبير لحربهم، والحيل في أمرهم، إلى الطلب لرجل ذي دين فاضل، وعقل كامل، وورع واسع، ليس موصوفاً بهوى في سواك، ولا متهمًّا في أثره عليك، ولا ظنيناً على دخلة مكروهة، ولا منسوبا إلى بدعة محظورة، فيقدح في ملكك، ويربض الأمور لغيرك، ثم تسند إليه أمورهم، وتفوض إليه حربهم، وتأمره في عهدك ووصيتك

إياه، بلزوم أمرك ما لزمه الحزم؛ وخلاف نهيك إذا خالفه الرأي، عند استحالة الأمور، واستدارة الأحوال، التي ينقض أمر الغائب عنها، ويثبت رأي الشاهد لها، فإنه إذا فعل ذلك فواثب أمرهم من قريب، وسقط عنه ما يأتي من بعيد، تمت الحيلة، وقويت المكيدة، ونفذ العمل وأحد النظر. إن شاء الله.

قال الفضل بن العباس: أيها المهدي، إن ولي الأمور وسائس الحروب، ربما جند جنوده، وفرق أمواله في غير ما ضيق أمر حزبه، ولا ضغطة حال اضطرته، فيقعد عند الحاجة إليها، وبعد التفرقة لها، عديماً منها، فاقداً لها، لا يثق بقوة، ولا يصول بعدة، ولا يفزع إلى ثقة. فالرأي لك أيها المهدي - وفقك الله - أن تعفى خزائنك من الإنفاق للأموال، وجنودك من مكابدة الأسفار، ومقارعة الأخطار، وتغرير القتال، ولا تسرع للقوم في الإجابة إلى ما يطلبون، والإعطاء لما يسألون، فيفسد عليك أدبهم، وتجرئ من رعيتك غيرهم. ولكن اغزهم بالحيلة، وقاتلهم بالمكيدة، وصارعهم باللين وخاتلهم بالرفق، وأبرق لهم، وأرعد نحوهم بالفعل وابعث البعوث، وجند الجنود، وكتب الكتائب، واعقد الألوية، وانصب الرايات وأظهر أنك موجه إليهم الجيوش، مع أحنق قوادك عليهم، وأسوئهم أثراً فيهم. ثم ادسس الرسل وابثث الكتب، وضع بعضهم على طمع من وعدك، وبعضاً على خوف من وعيدك. وأوقد بذلك وأشباهه نيران التحاسد فيهم، وأغرض أشجار التنافس بينهم، حتى تملأ القلوب من الوحشة، وتنطوي الصدور على البغضة، ويدخل كلا من كل الحذر والهيبة، فإن مرام الظفر بالغيلة، والقتال بالحيلة، والمناصبة بالكتب والمكايدة بالرسل، والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل في القلوب، القوي الموقع من النفوس، المعقود بالحجج، الموصول بالحيل، المبني على اللين، الذي يستلب العقول، ويسترق القلوب؛ ويسبى الآراء، ويستميل الأهواء، ويستدعي المواتاة، أنفذ من القتال بظبات السيوف وأسنة الرماح. كما أن الوالي الذي يستنزل طاعة رعيته بالحيل، ويفرق كلمة عدوه بالمكايدة، أحكم عملاً، وألطف نظراً، وأحسن سياسة من الذي لا ينال ذلك إلا بالقتال، وإتلاف الأموال، والتغرير والخطار. وليعلم المهدي - وفقه الله -

أنه إن وجه لقتالهم رجلاً، لم يسر لقتالهم إلا بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة، وتقدم على أسفار صعبة، وأموال متفرقة، وقواد غششة، إن ائتمنهم استنفذوا ماله، وإن استنصحهم كانوا عليه لا له.

قال المهدي: هذا رأي قد أسفر نوره، وبرق ضوؤه، وتمثل صوابه للعيون، وتجسد حقه في القلوب. ولكن فوق كل ذي علم عليم. ثم نظر إلى ابنه علي فقال: ما تقول؟

قال علي: أيها المهدي، إن أهل خراسان لم يخلعوا من طاعتك يداً، ولم ينصبوا من دونك أحداً يكدح في تغيير ملكك، ويربض الأمور لفساد دولتك، ولو فعلوا لكان الخطب أيسر، والشأن أصغر، والحال أذل؛ لأن الله مع حقه الذي لا يخذله، وعند موعده الذي لا يخلفه. ولكنهم قوم من رعيتك، وطائفة من شيعتك، الذين جعلك الله عليهم والياً، وجعل العدل بينك وبينهم حاكماً. طلبوا حقاً، وسألوا إنصافاً، فإن أجبت إلى دعوتهم،ونفست عنهم قبل أن تتلاحم منهم حالاً، أو يحدث من عندهم فتق، أطعت أمر الرب، وأطفأت نائرة الحرب، ووفرت خزائن المال، وطرحت تغرير القتال، وحمل الناس محمل ذلك على طبيعة جودك، وسجية حلمك، وإسجاح خليقتك، ومعدلة نظرك. فأمنت أن تنسب إلى ضعف. وأن يكون ذلك لهم فيما بقي دربة. وإن منعتهم ما طلبوا، ولم تجبهم إلى ما سألوا، اعتدلت بك وبهم الحال، وساويتهم في ميدان الخطاب. فما أرب المهدي أن يعمد إلى طائفة من رعيته، مقرين بمملكته، مذعنين لطاعته، لا يخرجون أنفسهم عن قدرته، ولا يبرئونها من عبوديته، فيملكهم أنفسهم، ويخلع نفسه عنهم، ويقف على الجدل معهم، ثم يجازيهم السوء في جد المقارعة، ومضمار المخاطرة؟ أيريد المهدي - وفقه الله - الأموال؟ فلعمري لا ينالها ولا يظفر بها إلا بإنفاق أكثر مما يطلب منهم، وأضعاف ما يدعي قبلهم. ولو نالها فحملت إليه، ووضعت بخرائطها بين يديه، ثم تجافى لهم عنها، وطال عليهم بها، لكان ذلك مما إليه ينسب، وبه يعرف، من الجود الذي طبعه الله عليه؛ وجعل قرة عينه ونهمة نفسه فيه فإن قال المهدي: هذا رأي مستقيم سديد في أهل الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا، وتحامل ولاتنا؛ فأما الجنود الذين نقضوا مواثيق العهود، وأنطقوا لسان الإرجاف وفتحوا باب

المعصية، وكسروا قيد الفتنة، فقد ينبغي لهم أن أجعلهم نكالاً لغيرهم وعظة لسواهم، فيعلم المهدي أنه لو أتي بهم مغلولين في الحديد، مقرنين في الأصفاد، ثم اتسع لحقن دمائهم عفوه، ولإقامة عثرتهم صفحه، واستقبالهم لما هم فيه من حربه، أو لمن بإزائهم من عدوه لما كان بدعاً من رأيه، ولا مستنكراً من نظره. لقد علمت العرب أنه أعظم الخلفاء والملوك عفواً، وأشدها وقعاً، وأصدقها صولة، وأنه لا يتعاظمه عفو، ولا يتكاءده صفح، وإن عظم الذنب، وجل الخطب. فالرأي للمهدي - وفقه الله تعالى - أن يحل عقدة الغيظ بالرجاء لحسن ثواب الله في العفو عنهم، وأن يذكر أولى حالاتهم، وضيعة عيالاتهم، براً بهم وتوسعاً لهم؛ فإنهم إخوان دولته، وأركان دعوته، وأساس حقه الذين بعزتهم يصول، وبحجتهم يقول. إنما مثلهم فيما دخلوا فيه من مساخطه، وتعرضوا له من معاصيه، وانطووا فيه عن إجابته، ومثله في قلة ما غير ذلك من رأيه فيهم، أو نقل من حاله لهم، أو تغير من نعمته عليهم، كمثل رجلين أخوين متناصرين متوازرين، أصاب أحدهما خبل عارض، ولمم حادث، فنهض إلى أخيه بالأذى، وتحامل عليه بالمكروه، فلم يزد ذلك أخاه إلا رقة له، ولطفا به، واحتيالاً لمداواة مرضه، ومراجعة حاله، عطفاً عليه، وبراً به، ومرحمة له.

فقال المهدي: أما علي فقد نوى سمت الليان، وفض القلوب عن أهل خراسان، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون. ثم قال: ما ترى يا أبا محمد؟ يعني موسى ابنه.

فقال موسى: أيها المهدي، لا تسكن إلى حلاوة ما يجري من القول على ألسنتهم، وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم. الحال من القوم تنادى بمضرة شر، وخفية حقد، قد جعلوا المعاذير عليه ستراً، واتخذوا العلل من دونها حجاباً، رجاء أن يدافعوا الأيام بالتأخير، والأمور بالتطويل، فيكسروا حيل المهدي فيهم، ويثنوا جنوده عنهم، حتى يتلاحم أمرهم، وتتلاحق مادتهم، وتستفحل حربهم، وتستمر الأمور بهم. والمهدي من قولهم في حال غرة ولباس أمنة قد فتر لها، وأنس بها، وسكن إليها. ولولا ما اجتمعت به قلوبهم، وبردت عليه جلودهم، من المناصبة بالقتال، والإضمار للقراع، عن داعية ضلال، أو شيطان فساد، لرهبوا عواقب

أحوال الولاة، وغب سكون الأمور. فليشدد المهدي - وفقه الله - أزره لهم، ويكتب كتائبه نحوهم، وليضع الأمر على أشد ما يحضره فيهم، وليوقن أنه لا يعطيهم خطة يريد بها صلاحهم، إلا كانت دربة لفسادهم، وقوة على معصيتهم، وداعية إلى عودتهم، وسببًا لفساد من بحضرته من الجنود، ومن ببابه من الوفود، الذين أقرهم على تلك العادة، وأجراهم على ذلك الأدب، لم يبرح في فتق حادث، وخلاف حاضر، لا يصلح عليه دين، ولا تستقيم به دنيا. وإن طلب تغييره بعد استحكام العادة، واستمرار الدربة، لم يصل إلى ذلك إلا بالعقوبة المفرطة، والمؤونة الشديدة. والرأي للمهدي - وفقه الله - أن لا يقيل عثرتهم، ولا يقبل معذرتهم، حتى تطأهم الجيوش، وتأخذهم السيوف، ويستحر بهم القتل، ويحدق بهم الموت، ويحيط بهم البلاء، ويطبق عليهم الذل. فإن فعل المهدي بهم ذلك، كان مقطعة لكل عادة سوء فيهم، وهزيمة لكل بادرة شر منهم. واحتمال المهدي مؤونة غزوتهم هذه يضع عنه مؤونة غزوات كثيرة، ونفقات عظيمة.

قال المهدي: قد قال القوم، فاحكم يا أبا الفضل.

فقال العباس بن محمد: أيها المهدي، أما الموالي فأخذوا بفروع الرأي، وسلكوا جنبات الصواب، وتعدوا أموراً قصر نظرهم عنها، لأنه لم تأت تجاربهم عليها.

وأما الفضل فأشار بالأموال أن لا تنفق، والجنود أن لا تفرق، وبأن لا يعطى القوم ما طلبوا، ولا يبذل لهم ما سألوا، وجاء بأمر بين ذلك، استصغاراً لأمرهم، واستهانة بحربهم، وإنما يهيج جسيمات الأمور صغارها.

وأما علي فأشار باللين وإفراط الرفق. وإذا جرد الوالي لمن غمط أمره، وسيفه حقه، اللين بحتاً، والخير محضاً، لم يخلطهما بشدة تعطف القلوب على لينه ولا بشر يحيشهم إلى خيره؛ فقد ملكهم الخلع لعذرهم، ووسع لهم الفرجة لثني أعناقهم. فإن أجابوا دعوته، وقبلوا لينه من غير ما خوف اضطرهم، ولا شدة حال أخرجتهم، لم يزل ذلك يهيج عزة في نفوسهم، ونزوة في رؤوسهم، يستعدون بها البلاء إلى أنفسهم، ويصرفون بها رأي المهدي فيهم. وإن لم يقبلوا دعوته، ويسرعوا لإجابته باللين

المحض، والخير الصراح، فذلك ما عليه الظن بهم، والرأي فيهم، وما قد يشبه أن يكون من مثلهم؛ لأن الله تعالى خلق الجنة وجعل فيها من النعيم المقيم، والملك الكبير، ما لا يخطر على قلب بشر، ولا تدركه الفكر ولا تعلمه النفوس، ثم دعا الناس إليها، ورغبهم فيها. فلولا أنه خلق ناراً لهم رحمة يسوقهم بها إلى الجنة، لما أجابوا ولا قبلوا.

وأما موسى فأشار بأن يعصبوا بشدة لا لين فيها، وأن يرموا بشر لا خير معه. وإذا أضمر الوالي لما فارق طاعته، وخالف جماعته، الخوف مفرداً، والشر مجرداً؛ ليس معهما طمع يكسرهم، ولا لين يثنيهم، امتدت الأمور بهم، وانقطعت الحال منهم إلى أحد أمرين: إما أن تدخلهم الحمية من الشدة، والأنفة من الذلة، والامتعاض من القهر، فيدعوهم ذلك إلى التمادي في الخلاف، الاستبسال في القتال، والاستسلام للموت؛ وإما أن ينقادوا بالكره، ويذعنوا بالقهر، على بغضة لازمة، وعداوة باقية، تورث النفاق، وتعقب الشقاق، فإذا أمكنتهم فرصة، أو ثابت لهم قدرة، أو قويت لهم حال، عاد أمرهم إلى أصعب وأغلظ وأشد مما كان.

وقال: في قول الفضل أيها المهدي، أكفى دليل، وأوضح برهان، وأبين خبر بان؛ قد اجتمع رأيه، وحزم نظره على الإرشاد ببعثة الجيوش إليهم، وتوجيه البعوث نحوهم، مع إعطائهم ما سألوا من الحق، وإجابتهم إلى ما سألوا من العدل.

قال المهدي: ذلك رأى.

قال هارون: خلطت الشدة أيها المهدي باللين، فصارت الشدة أمر فطام لما تكره وعاد اللين أهدى قائد إلى ما تحب، ولكن أرى غير ذلك.

قال المهدي: لقد قلت قولاً بديعاً، خالفت به أهل بيتك جميعاً، والمرء متهم بما قال، وظنين بما ادعى، حتى يأتي ببينة عادلة، وحجة ظاهرة؛ فاخرج عما قلت.

قال هارون: أيها المهدي، إن الحرب خدعة، والأعاجم قوم مكرة، وربما اعتدلت الحال بهم، واتفقت الأهواء منهم، فكان باطن ما يسرون على ظاهر ما يعلنون؛ وربما افترقت الحالان، وخالف القلب اللسان،

فانطوى القلب على محجوبة تبطن، واستسر بمدخوله لا تعلن. والطبيب الرفيق بطبه، البصير بأمره، العالم بمقدم يده، وموضع ميسمه، لا يتعجل بالدواء، حتى يقع على معرفة الداء. فالرأي للمهدي - وفقه الله - أن يفر باطن أمرهم فر المسنة، ويمخض ظاهر حالهم مخض السقاء، بمتابعة الكتب، ومظاهرة الرسل، وموالاة العيون، حتى تهتك حجب غيوبهم، وتكشف أغطية أمورهم، فإن انكشفت الحال له، وأفضت الأمور به، إلى تغيير حال، أو داعية ضلال، اشتملت الأهواء عليه، وانقاد الرجال إليه، وامتدت الأعناق نحوه، بدين يعتقدونه، وإثم يستحلونه، عصبهم بشدة لا لين فيها، ورماهم بعقوبة لا عفو معها. وإن انفرجت الغيوب واهتصرت الستور، ورفعت الحجب، والحال فيهم مريعة، والأمور بهم معتدلة، عن أرزاق يطلبونها، وأعمال ينكرونها، وظلامات يدعونها، وحقوق يسألونها، بماتة سابقتهم، ودالة مناصحتهم، فالرأي للمهدي - وفقه الله - أن يتسع لهم بما طلبوا، ويتجافى لهم عما كرهوا، ويشعب من أمرهم ما صدعوا، ويرتق من فتقهم ما فتقوا، ويولي عليهم من أحبوا، ويداوي بذلك مرض قلوبهم، وفساد أمورهم، فإنما المهدي وأمته وسواد أهل مملكته، بمنزلة الطبيب الرفيق، والوالد الشفيق، والراعي الحدب، الذي يحتال لمرابض غنمه، وضوال رعيته. حتى يبرئ المريضة من داء علتها، ويرد الضالة إلى أنس جماعتها. ثم إن خراسان بخاصة لهم دالة محمولة، وماتة مقبولة، ووسيلة معروفة، وحقوق واجبة، لأنهم أيدي دولته، وسيوف دعوته، وأنصار حقه، وأعوان عدله؛ فليس من شأن المهدي الاضطغان عليهم، ولا المؤاخذة لهم، ولا التوعر بهم، ولا المكافأة بإساءتهم، لأن مبادرة حسم الأمور ضعيفة قبل أن تقوى، ومحاولة قطع الأصول ضئيلة قبل أن تغلظ، أحزم في الرأي. وأصح في التدبير، من التأخير لها، والتهاون بها، حتى يلتئم قليلها بكثيرها، وتجتمع أطرافها إلى جمهورها.

قال المهدي: ما زال هارون يقع وقع الحيا، حتى خرج خروج القدح مما قال، وانسل انسلال السيف فيما ادعى. فدعوا ما قد سبق موسى فيه أنه هو الرأي، وثنى بعده هارون. ولكن من لأعنه الخيل، وسياسة الحرب، وقادة الناس، إن أمعن بهم اللجاج، وأفرطت بهم الدالة؟ قال الصالح: لسنا

نبلغ أيها المهدي بدوام البحث، وطول الفكر، أدنى فراسة رأيك، وبعض لحظات نظرك، وليس ينفض عنك من بيوتات العرب ورجالات العجم ذو دين فاضل، ورأي كامل، وتدبير قوي، تقلده حربك، وتستودعه جندك، ممن يحتمل الأمانة العظيمة، ويضطلع بالأعباء الثقيلة. وأنت بحمد الله ميمون النقيبة مبارك العزيمة، مخبور التجارب، محمود العواقب، معصوم العزم، فليس يقع اختيارك، ولا يقف نظرك، على أحد توليه أمرك، وتسند إليه ثغرك، إلا أراك الله منه ما تحب، وجمع لك منه ما تريد.

قال المهدي: إني لأرجو ذلك لقديم عادة الله فيه، وحسن معونته عليه. ولكن أحب الموافقة على الرأي، والاعتبار بالمشاورة في الأمر المهم.

قال محمد بن الليث: أهل خراسان، أيها المهدي، قوم ذو عزة ومنعة، وشياطين خدعة زروع الحمية فيهم نابتة، وملابس الأنفة عليهم ظاهرة. فالروية عنهم عازبة، والعجلة فيهم حاضرة، تسبق سيولهم مطرهم، وسيوفهم عذلهم، لأنهم بين سفلة لا يعدو مبلغ عقولهم منظر عيونهم، وبين رؤساء لا يلجمون إلا بالشدة، ولا يفطمون إلا بالقهر. وإن ولى المهدي عليهم وضيعاً لم تنقد له العظماء، وإن ولى أمرهم شريفاً تحامل على الضعفاء. وإن أخر المهدي أمرهم، ودافع حربهم، حتى يصيب لنفسه من حشمه ومواليه، أو بني عمه أو بني أبيه، ناصحاً يتفق عليه أمرهم، وثقة تجتمع له أملاؤهم، بلا أنفة تلزمهم، ولا حمية تدخلهم، ولا عصبية تنفرهم، تنفست الأيام بهم، وتراخت الحال بأمرهم، فدخل بذلك من الفساد الكبير، والضياع العظيم، ما لا يتلافاه صاحب هذه الصفة وإن جد، ولا يستصلحه، وإن جهد، إلا بعد دهر طويل، وشر كبير. وليس المهدي - وفقه الله - فاطماً عاداتهم، ولا قارعاً صفاتهم، بمثل أحد رجلين لا ثالث لهما، ولا عدل في ذلك بهما: أحدهما لسان ناطق، موصول بسمعك، ويد ممثلة لعينك، وصخرة لا تزعزع، وبهمة لا يثنى، وبازل لا يفزعه صوت الجلجل؛ تقي العرض، نزيه النفس، جليل الخطر، قد اتضعت الدنيا عن قدره، وسما نحو الآخرة بهمته؛ فجعل الغرض الأقصى لعينه نصباً، والغرض الأدنى لقدمه موطئاً، فليس يغفل عملاً، ولا يتعدى أملاً، وهو رأس مواليك، وأنصح بني أبيك، رجل قد غذي بلطيف كرامتك، ونبت في

ظل دولتك، ونشأ على قويم أدبك. فإن قلدته أمرهم، وحملته ثقلهم، وأسندت إليه ثغرهم، كان قفلاً فتحه أمرك، وباباً أغلقه نهيك، فجعل العدل عليه وعليهم أميراً، والإنصاف بينه وبينهم حاكماً، فأعطاهم مالهم، وأخذ منهم ما عليهم، غرس لك في الذي بين صدورهم، وأسكن لك في السويداء داخل قلوبهم، طاعة راسخة العروق، باسقة الفروع، متمثلة في حواشي عوامهم، متمكنة من قلوب خواضهم، فلا يبقى فيهم ريب إلا نفوه، ولا يلزمهم حق إلا أدوه، وهذا أحدهم. والآخر عود من غيضتك، ونبعة من أرومتك، فتي السن، كهل الحلم، راجح العقل، محمود الصرامة، مأمون الخلاف، يجرد فيهم سيفه، ويبسط عليهم خيره، بقدر ما يستحقون، وعلى حسب ما يستوجبون، وهو فلان أيها المهدي. فسلطه - أعزك الله - عليهم، ووجهه بالجيوش إليهم، ولا تمنعك ضراعة سنه، وحداثة مولده؛ فإن الحلم والثقة مع الحداثة، خير من الشك والجهل مع الكهولة وإنما أحداثكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه، واختصكم به، من مكارم الأخلاق، ومحامد الفعال، ومحاسن الأمور، وصواب التدبير، وصرامة الأنفس، كفراخ عتاق الطير المحكمة لأخذ الصيد بلا تدريب، والعارفة لوجوه النفع بلا تأديب، فالحلم والعلم والعزم والحزم والجود والتؤدة والرفق ثابت في صدوركم، مزروع في قلوبكم مستحكم لكم، متكامل عندكم، بطبائع لازمة، وغرائز ثابتة.

قال معاوية بن عبد الله: أفتاء أهل بيتك أيها المهدي في الحلم على ما ذكر، وأهل خراسان في حال عز على ما وصف، ولكن إن ولى المهدي عليهم رجلاً ليس بقديم الذكر في الجنود، ولا بنبيه الصوت في الحروب، ولا بطويل التجربة للأمور ولا بمعروف السياسة للجيوش والهيبة في الأعداء، دخل ذلك أمران عظيمان، وخطران مهولان، أحدهما: أن الأعداء يغتمزونها منه، ويحتقرونها فيه، ويجترئون بها عليه، في النهوض به والمقارعة له، والخلاف عليه، قبل الاختبار لأمره، والتكشف لحاله، والعلم بطباعه. والأمر الآخر: أن الجنود التي يقود، والجيوش التي يسوس، إذا لم يختبروا منه البأس والنجدة، ولم يعرفوه بالصوت والهيبة، انكسرت شجاعتهم، وماتت نجدتهم، واستأخرت طاعتهم إلى حين

اختبارهم، ووقوع معرفتهم، وربما وقع البوار قبل الاختبار. وبباب المهدي - وفقه الله - رجل مهيب، نبيه حنيك صيت، له نسب زاك، وصوت عال، قد قاد الجيوش، وساس الحروب، وتألف أهل خراسان، واجتمعوا عليه بالمقة، ووثقوا به كل الثقة، فلو ولاه المهدي أمرهم، لكفاه الله شرهم.

قال المهدي: جانيت قصد الرمية، وأبيت إلا عصبية، إذ رأي الحدث من أهل بيتنا، كرأي عشرة حلماء من غيرنا. ولكن أين تركتم ولي العهد؟ قالوا: لم يمنعنا من ذكره إلا كونه شبيه جده، ونسيج وحده، ومن الدين وأهله بحيث يقصر القول عن أدنى فضله، ولكن وجدنا الله عز وجل قد حجب عن خلفه، وستر من دون عباده، علم ما تختلف به الأيام، ومعرفة ما تجري به المقادير، من حوادث الأمور، وريب المنون، المخترمة لخوالي القرون، ومواضي الملوك، فكرهنا شسوعه عن محلة الملك، ودار السلطان، ومقر الإمامة والولاية، وموضع المدائن والخزائن، ومستقر الجنود، وموضع الوجوه، ومجمع الأموال، التي جعلها الله عز وجل قطباً لمدار الملك، ومصيدة لقلوب الناس، ومثابة لإخوان الطمع، وثوار الفتن، ودواعي البدع، وفرسان الضلال، وأبناء المروق. وقلنا: إن وجه المهدي ولى عهده، فحدث في جيوشه وجنوده ما قد حدث بجنود الرسل من قبله، لم يستطع المهدي أن يعقبه بغيره، إلا أن ينهض إليهم بنفسه، وهذا خطر عظيم، وهول شديد، إن تنفست الأيام بمقامه، واستدامت الحال بأيامه، حتى يقع عرض لا يستغنى فيه، أو يحدث أمر لا بد فيه منه، صار ما بعده، مما هو أعظم هولاً وأجل خطراً، له تبعاً وبه متصلاً.

قال المهدي: الخطب أيسر مما تذهبون إليه، وعلى غير ما تصفون الأمر عليه. نحن - أهل البيت - نجري من أسباب القضايا، ومواقع الأمور، على سابق من العلم، ومحتوم من الأمر، قد أنبأت به الكتب، وتتابعت عليه الرسل، وقد تناهى ذلك بأجمعه إلينا، وتكامل بحذافيره عندنا، فبه ندبر، وعلى الله نتوكل. إنه لا بد لولي عهدي، عقبي من بعدي، أن يقود إلى خراسان البعوث، ويتوجه نحوها بالجنود.

أما الأول فإنه يقدم إليهم رسله، ويعمل، فيهم حيله ثم يخرج نشطاً إليهم حنقاً عليهم يريد أن لا يدع أحد من إخوان الفتن، ودواعي البدع، وفرسان الضلال، إلا توطأه بحر القتل، وألبسه قناع القهر، وطوقه طوق الذل؛ ولا أحداً من الذين عملوا في قص جناح الفتنة، وإخماد نار البدعة، ونصرة ولاة الحق، إلا أجرى عليهم ديم فضله، وجداول بذله. فإذا خرج مزمعاً له مجمعاً عليه، لم يسر إلا قليلاً حتى يأتيه أن قد عملت حيله. وكدحت كتبه، ونفذت مكايده؛ فهدأت نافرة القلوب، ووقعت طائرة الأهواء، واجتمع عليه المختلفون بالرضا، فيميل نظراً لهم، وبرًّا بهم، وتعطفاً عليهم، إلى عدو قد أخاف سبيلهم، وقطع طريقهم، ومنع حجاجهم بيت الله الحرام، وسلب تجارهم رزق الله الحلال.

وأما الآخر فإنه يوجه إليهم من يعتقد له الحجة بإعطاء ما يطلبون، وبذل ما يسألون، فإذا سمت الفرق بقرانها له، وجنح أهل النواحي بأعناقهم نحوه، فأصغت إليه الأفئدة، واجتمعت له الكلمة، وقدمت عليه الوفود، قصد لأول ناحية بخعت بطاعتها، وألقت بأزمتها، فألبسها جناح نعمته، وأنزلها ظل كرامته وخصها بعظيم حبائه، ثم عم الجماعة بالمعدلة، وتعطف عليهم بالرحمة. فلا تبقى فيهم ناحية دانية، ولا فرقة قاصية، إلا دخلت عليها بركته، ووصلت إليها منفعته، فأغنى فقيرها، وجبر كسيرها، ورفع وضيعها، وزاد رفيعها، ما خلا ناحيتين: ناحية يغلب عليهم الشقاء، وتستميلهم الأهواء، فتستخف بدعوته، وتبطئ عن إجابته، وتتثاقل عن حقه، فتكون آخر من يبعث، وأبطأ من يوجه، فيضطمر عليها موجدة، ويبتغي لها علة، لا يلبث أن يجدها بحق يلزمهم، وأمر يجب عليهم، فتستلحمهم الجيوش، وتأكلهم السيوف، ويستحر فيهم القتل، ويحيط بهم الأسر، ويفنيهم التتبع، حتى يخرب البلاد، ويوتم الأولاد. وناحية لا يبسط لهم أماناً، ولا يقبل لهم عهداً، ولا يجعل لهم ذمة، لأنهم أول من فتح باب الفرقة، وتدرع جلباب الفتنة، وربض في شق العصا. ولكنه يقتل أعلامهم، ويأسر قوادهم، ويطلب هرابهم، في لجج البحار، وقلل الجبال، وخمر الأردية، وبطون الأرض، تقتيلاً وتغليلاً وتنكيلاً، حتى يدع الديار خراباً، والنساء أيامى. وهذا أمر لا نعرف في كتبناً وقتاً، ولا نصحح منع غير ما

قلنا تفسيراً.

وأما موسى ولي عهدي، فهذا أوان توجهه إلى خراسان، وحلوله بجرجان، وما قضى الله له من الشخوص إليها، والمقام فيها، خير للمسلمين مغبة، وله بإذن الله عاقبة من المقام بحيث يغمر في لجج بحورنا، ومدافع سيولنا ومجامع أمواجنا، فيتصاغر عظيم فضله، ويتذأب مشرق نوره، ويتقلل كثير ما هو كائن منه. فمن يصحبه من الوزراء، ومن يختار له من الناس؟ قال محمد بن الليث: أيها المهدي، إن ولى عهدك أصبح لأمتك وأهل ملتك علماً قد تثنت نحوه أعناقها، ومدت سمته أبصارها. وقد كان لقرب داره منك، ومحل جواره لك: عطل الحال، غفل الأمر، واسع العذر. فأما إذا انفرد بنفسه، وخلا بنظره، وصار إلى تدبيره، فإن من شأن العامة، وأمراء الأمة، أن تتفقد مخارج رأيه، وتستنصت لمواقع آثاره، وتسأل عن حوادث أحواله، في بره ومرحمته، وإقساطه ومعدلته، وتدبيره، وسياسته، ووزرائه وأصحابه، ثم يكون ما سبق إليهم، أغلب الأشياء عليهم، فلا يفتأ المهدي - وفقه الله - ناظراً له فيما يقوي عمد مملكته ويسدد أركان ولايته، ويستجمع رضا أمته، بأمر هو أزين لحاله، وأظهر لجماله، وأفضل مغبة لأمره، وأجل موقعاً في قلوب رعيته، وأحمد حالاً في نفوس أهل ملته. ولا أوقع مع ذلك باستجماع الأهواء له، وأبلغ في استعطاف القلوب عليه، من مرحمة تظهر من فعله؛ ومعدلة تنتشر من أثره، ومحبة للخير وأهله. وإن يختار المهدي - وفقه الله - من خيار أهل كل بلدة، وفقهاء أهل كل مصر، أقواماً تسكن العامة إليهم إذا ذكروا، وتأنس الرعية بهم إذا وصفوا، ثم تسهل لهم عمارة سبل الإحسان، وفتح باب المعروف، كما قد كان فتح له وسهل عليه.

قال المهدي: صدقت ونصحت. ثم بعث في ابنه موسى، فقال: أي بني، إنك قد أصبحت لسمت عيون العامة نصباً، ولمثنى أعطاف الرعية غاية، فحسنتك شاملة، وإساءتك نامية وأمرك ظاهر. فعليك بتقوى الله عز وجل وطاعته، فاحتمل سخط الناس فيهما، ولا تطلب رضاهم بخلافهما، فإن الله عز وجل كافيك من أسخطه إيثارك رضاه، وليس بكافيك من يسخطه عليك إيثارك رضا من سواه. ثم اعلم أن لله تعالى في كل زمن عترة من

رسله، وبقايا من صفوة خلقه، وخبايا لنصرة حقه؛ يجدد حبل الإسلام بدعواهم، ويشيد أركان الدين بنصرتهم، ويتخذهم لأولياء دينه أنصاراً، وعلى إقامة عدله أعوانا يسدون الخلل، ويقيمون الميل، ويدفعون عن الأرض الفساد. وإن أهل خراسان أصبحوا أيدي دولتنا، وسيوف دعوتنا، الذين نستدفع المكاره بطاعتهم، ونصرف نزول العظائم بمناصحتهم، وندافع ريب الزمان بعزائمهم، ونزاحم ركن الدهر ببصائرهم. فهم عماد الأرض إذا أرجفت كنفها، وحتوف الأعداء إذا برزت صفحتها، وحصون الرعية إذا تضايقت الحال بها. قد مضت لهم وقائع صادقات، ومواطن صالحات، أخمدت نيران الفتن، وقصمت دواعي البدع، وأذلت رقاب الجبارين، ولم ينفكوا كذلك ما جروا مع ريح دولتنا، وأقاموا في ظل دعوتنا، واعتصموا بحبل طاعتنا التي أعز الله بها ذلتهم، ورفع بها ضعتهم، وجعلهم بها أرباباً في أقطار الأرضين، وملوكاً على رقاب العالمين، بعد لباس الذل، وقناع الخوف، وإطباق البلاء، ومحالفة الأسى، وجهد البأس والضر. فظاهر عليهم لباس كرامتك، وأنزلهم في حدائق نعمتك ثم اعرف لهم حتى طاعتهم، ووسيلة دالتهم، وماتة سابقتهم، وحرمة مناصحتهم بالإحسان إليهم، والتوسعة عليهم، والإثابة لمحسنهم، والإقالة لمسيئهم. أي بني: ثم عليك العامة، فاستدع رضاها بالعدل عليها، واستجلب مودتها بالإنصاف لها، وتحسن بذلك لربك، وتزين به في عين رعيتك، واجعل عمال القدر، وولاة الحجج مقدمة بين يدي عملك، ونصفة منك لرعيتك؛ وذلك أن تأمر قاضي كل بلد، وخيار أهل كل مصر، أن يختاروا لأنفسهم رجلاً توليه أمرهم، وتجعل العدل حاكماً بينه وبينهم، فإن أحسن حمدت، وإن أساء عذرت، هؤلاء عمال القدر وولاة الحجج. فلا يضيعن عليك ما في ذلك - إذا انتشر في الآفاق، وسبق إلى الأسماع - من انعقاد ألسنة المرجفين، وكبت قلوب الحاسدين، وإطفاء نيران الحروب، وسلامة عواقب الأمور. ولا ينفكن في ظل كرامتك نازلاً، وبعراً حبلك متعلقاً رجلان: أحدهما كريمة من كرائم رجالات العرب، وأعلام بيوتات الشرف، له أدب فاضل، وحلم راجح، ودين صحيح. والآخر له دين غير مغمور، وموضع مدخول، بصير بتقلب الكلام، وتصريف الرأي، وإيحاء

الأدب، ووضع الكتب عالم بحالات الحروب، وتصاريف الخطوب، يضع آداباً نافعة، وآثاراً باقية؛ من تجميل محاسنك، وتحسين أمرك، وتحلية ذكرك، فتستشيره في حربك، وتدخله في أمرك؛ فرجل أصبته كذلك فهو يأوي إلى محلتي، ويرعى في خضرة جناني: ولا تدع أن تختار لك من فقهاء البلدان، وخيار الأمصار، أقواماً يكونون جيرانك وسمارك، وأهل مشاورتك فيما تورد، وأصحاب مناظرتك فيما تصدر. فسر على بركة الله، أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلاً يهدي إلى الصواب قلبك؛ وهادياً ينطق بالحق لسانك[1].

- إن الكريم إذا خادعته انخدعا [2].

- - هاجت ريح سوداء في أيام المهدي، فرؤي وهو ساجد يقول: اللهم لا تشمت بنا أعداءنا من الأمم، واحفظ فينا دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم وإن كنت أخذت العامة بذنبي فهذه ناصيتي بيدك[3] .

- خطبة المهدى:

الحمد لله الذى ارتضى الحمد لنفسه ورضى به من خلقه أحمده على الائه وأمجده لبلائه وأستعينه وأومن به وأتوكل راض بقضائه وصابر لبلائه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله إلى خلقه وأمينه على وحيه أرسله بعد انقطاع الرجاء وطموس العلم واقتراب من الساعة إلى أمة جاهلية مختلفة أمية أهل عداوة وتضاغن وفرقة وتباين قد استهوتهم شياطينهم وغلب عليهم قرناؤهم فاستشعروا الردى وسلكوا العمى يبشر من أطاعه بالجنة وكريم ثوابها ويندر من عصاه بالنار وأليم عقابها{ڑ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ} [الأنفال: ٤٢].

(1) العقد الفريد، 1 /52 – 59.
(2) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص216.
(3) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، 64/3.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله فإن الاقتصار عليها سلامة والترك لها ندامة وأحثكم على إجلال عظمته وتوقير كبريائه وقدرته والانتهاء إلى ما يقرب من رحمته وينجى من سخطه وينال به ما لديه من كريم الثواب وجزيل الماب فاجتنبوا ما خوفكم الله من شديد العقاب وأليم العذاب ووعيد الحساب يوم توقفون بين يدى الجبار وتعرضون فيه على النار{ڪ ڪ ڪ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ} [هود: ١٠٥]، {ئى ئد ى ى ي ي □} [عبس: ٣٤ - ٣٧]،{ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ} [البقرة: ١٢٣]، {ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ} [لقمـــان: ٣٣]، {ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ} [لقمان: ٣٣]، فإن الدنيا دار غرور وبلاء وشرور واضمحلال وزوال وتقلب وانتقال قد أفنت من كان قبلكم وهى عائدة عليكم وعلى من بعدكم من ركن إليها صرعته ومن وثق بها خانته ومن أملها كذبته ومن رجاها خذلته عزها ذل وغناها فقر والسعيد من تركها والشقى فيها من آثرها والمغبون فيها من باع حظه من دار آخرته بها فالله الله عباد الله والتوبة مقبولة والرحمة مبسوطة وبادروا بالأعمال الزكية في هذه الأيام الخالية قبل أن يؤخذ بالكظم وتندموا فلا تنالون الندم في يوم حسرة وتأسف وكآبة وتلهف يوم ليس كالأيام وموقف ضنك المقام إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله يقول الله تبارك وتعالى:{ۆ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ} [الأعراف: ٢٠٤]، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم{ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک} [التكاثر: ١ - ٢]، إلى آخر السورة أوصيكم عباد الله بما أوصاكم الله به وأنهاكم عما نهاكم عنه وأرضى لكم طاعة الله وأستغفر الله لى ولكم[1].

- قال المهدي للفضل بن الربيع: إني قد وَلَيتُك سَتْرَ وجهي وكَشْفَه، فلا تجعل الستر بيني وبين خواصّي سبباً لضغنهم بِقُبْح ردِّكَ، وعُبُوسِ وَجْهك، وقدم أبناء الدعوة، فإنهم أوْلَى بالتقديم، وثَن بالأولياء، واجعل

(1) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية - بيروت، ص55 - 56.

للعامة وَقْتاً إذا دَخلوا أعجلَهُم ضِيقُه عن التلبّث، وصرَفَهم عنِ التمكُّث[1].

* * *

(1) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الأداب وثمر الألباب، تحقيق: أ. د / يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1417 هـ - 1997م، 449/1.